ابعث صلاح الدّين

الى الرجل الذي حرك جيوشه فورا نحو الخطوط الامامية بعزم وتصميم ، الى عبد الناصر الرجل العظيم ....

اضرب فـــداك أبي وأنت الفـادي ... يا رافعـــا رأسي ومجـــد بلادي

وارفع لواء النصر أنت صنعتـــه ... بيديـــك لولاها لاصبح صـــادي

آمنت أنـــك لست فينـــا واحدا ... بل أنت هـــذا الجمع حين تنادى

يـــا ملهم التـــاريخ أعظم ثـــورة ... في الارض لم تسبق بغير الهـــادي

وهو الـــذي أعطاك رايات الهـدى ... فاصنع بهـــا ما شئت من أمجـاد

ان العروبـــة آمنت بـــك قائدا ... متعدد الطاقـــات غير مقـــاد

لله اذ حركت جيشـــك مصعـــدا ... حركت فينـــا نخوة الاجـــداد

فتد الجموع الى فلسطـــين ومـا ... احد سواك يقود جمـــع الضـــاد

وادحر جيوش المعتدين وانهـــا ... لجيوش زيف لم تقم لرشـــاد

وابعث صلاح الدين في حطينـــه ... وامســـك زمـــام قلوبنـــا يا حادى

خالد
سعود
الزيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحو دراسة

المتنبي

حايك

من جديد

بقلم : محمد صلاح الدين احمد عيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابو الطيب المتنبي ظاهرة ضخمة في تاريخ الادب العربي ما تزال في حاجة الى جهود طويلة وشاقة ومتأنية حتى تفهم فهما سليما ... وربما كان ما كتب عن المتنبي من الكثرة بحيث يمكن ان يوحي ان هذا القول مبالغ فيه غير ان قليلا من مراجعة هذا الذي كتب والوقوف على ما يحتويه من اختلاف شديد بين الباحثين حول حقيقة شخصية المتنبي يمكن ان يجعلنا نسلم بضرورة مواصلة بذل الجهود في هذا السبيل .

ولعله من غير التجني ان يقال ان الكثرة الكثيرة من التفسيرات التي وضعت لشخصية المتنبي ولاطوار حياته تخضع في الغالب للنظرة الجزئية غير واسعة الافق اكثر من خضوعها للنظرة الكلية الشاملة .. ومن البديهي ان تفسير مرحلة ما في حياة فرد ما لا يمكن ان تنفصل عن المراحل الاخرى التي ترتبط بها ارتباطا عفويا وان فهم حياته في مجموعها لا يمكن ان يتم اذا انفصلت عن الفترة الزمنية التي هي جزء منها .. ولا يكفي ان نورد دراسة سريعة لهذه الفترة نجعلها مقدمة للبحث في حياة هذا الفرد بغرض ازالة ما يحيط بها او يغلفها من ضباب الغموض : ففكرة الارتباط العضوي بين حياته وحياة عصره وما تزخر به من احداث ينبغي ان تظل ماثلة في اذهاننا بحيث تجعلنا جادين في سبيل اكتشاف مكانة الصحيح على خريطة التيارات التاريخية المستمرة باستمرار الحياة نفسها .

ولكن هل يعنينا دراسة التاريخ العربي الاسلامي في القرن الرابع الهجري — وهي الفترة التي كانت حياة ابي الطيب جزءا منها — على فهم شخصية هذا الرجل وفهم مراحل حياته الغامضة ! ان من المؤسف اننا مضطرون الى الاجابة على ذلك بالنفي ذلك ان هذه الفترة نفسها على الاقل في حاجة الى الفهم .. ويكفي ان نطلع على احد مصادر التاريخ فيها كالكامل في التاريخ لابن الاثير على سبيل المثال ليهولنا هذا الموج المتدافع من الاحداث في سرعة ووفرة شديدة وكأننا في بحر لا ساحل له غير انه يمكن القول ان القرن الرابع يمثل ذروة انهيار الدولة العربية الاسلامية سياسيا ومن هنا كان طبيعيا ان تحوطه سحب كثيفة من الغبار الذي يصحب عمليات الانهيار دائما بالاضافة الى ما حمله من الخلط بين التيارات السياسية والتيارات المذهبية وهو خلط كان له ما يبرره في واقع الامر فقد كانت السياسة تتقنع بالدين ولم يكن لدعوة سياسية ان تظهر عارية عن الدين والا كان الاخفاق هو نهايتها المحتومة . فظهرت الحركة القومية الفارسية التي سيطرت على بغداد سنة ٣٢١هـ وبمظهر المدافع عن المذهب الشيعي بينما ظهرت الحركة

المتنبي المفترى عليه !!

الشعب العربي دائماً وأبداً تواق الى مجده الغابر

صوت المتنبي لم يكن صوت فرد .. بل صوت امة

القومية التركية التي سيطرت قبلها مباشرة على بغداد ممثلة في الاتراك البيحكمية والتورونية بمظهر المدافع عن المذهب السني .

وربما كان من المجدي ان اعرض هنا تجربتي الشخصية في فهم ابي الطيب المتنبي . كان البحث الذي قمت به محددا بالفترة التي قضاها المتنبي في مصر وهي فترة قصيرة نسبيا تقع بين الاربع والخمس سنوات .. ولم اكن اعلم انني ساضطر الى اعادة النظر فيما كان يعتقد ان ابا الطيب جاء الى مصر طامعا في ان يوليه حاكمها كافور الاخشيدي احدى الولايات التابعة له استنادا الى قول ابي الطيب نفسه :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية
فجودك يكسوني وشغلك يسلب

وهو قول كان يتمشى تمشيا طبيعيا مع ما عرف عن المتنبي من الطموح .. الا ان بعض الاشارات التي وردت في شعر المتنبي في ذلك الحين كانت تتجه وجهة اخرى غير وجهة الولاية هذه في غايتها وفي الوسيلة اليها بالاضافة الى ان بيت المتنبي السابق قد ورد على سبيل التهكم من جانبه على كافور في قصيدة بدا بها المتنبي حملة تهكمية خفية عليه انتهت بهجائه المشهور « للاسود » بعد فراره من مصر .

لقد اشار ابو الطيب الى العراقين وهما البصرة والكوفة في اول قصيدة وجهها الى كافور باعتبارهما الولاية التي يطمع فيها او يطمح اليها والبصرة والكوفة لم تكونا في يوم من الايام واقعتين في نطاق سلطان كافور السياسي .. يقول له ابو الطيب :

وغير كثير ان يزورك راحل
فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد نهب الجيش الذي جاء غازيا
لسائلك الفرد الذي جاء عافيا

والبيت الاول يصور الغاية من رحلة المتنبي الى مصر التي نفى انه قام بها من اجل المال في مثل قوله لكافور :

وما رغبتي في عسجد استفيده
ولكنها في مفخر استجده

اما البيت الثاني فهو يصور الوسيلة لهذه الغاية يضاف الى ذلك مثل قوله :

ابا المسك ارجو منك نصرا على العدا
وآمل عزا يخصب البيض بالدم
ويوما يغيظ الحاسدين وحالة
اقيم الشقا فيها مقام التنعم

وقوله :

فارم بي مـــا اردت منـــي فانـــي
اســـد القلـــب آدمـــي الـــرداء

فالغاية غريبة على فكرة طلب المتنبي ضيعة او ولاية عند كافور وهي غاية ابدى رغبته في بلوغها في اول مـــا وجهه الى كافور من القصائد . وتأتي غرابتها من ان المتنبي يطلب ولاية حقا من كافور ولكنها ولاية لا تخضع لحكمه وانما تخضع لحكم البوبهيين الفرس في العراق وهم يقفون موقف الحذر الشديد من الاتراك الذين يمثلهم كافور بعد ان استولوا على بغداد من ايديهم .والوسيلة غريبة على هذه الفكرة ايضا اذ لا يمكن ان ينسجم معها على الاطلاق دعوة المتنبي كافورا ان يهبه الجيش الذي جاء غازيا والذي يجعله سببا لرجوعه « ملكا للعراقين واليا » وان ينيله هذا النصر على العدا وهذا اليـــوم يخضب بالدم ويغيظ الحاسدين ويقلب النعيم الى شقاء.

واذن فلا الغاية ولا الوسيلة يمكن ان تنسجم مـــع الفكرة الشائعة عن رحلة المتنبي الى مصر .. وكان لا بد من فهم شخصية المتنبي وفهم حياته اولا حتى يمكن لنا فهم المرحلة المصرية من هذه الحياة .

واعترف هنا ان كتاب المستشرق الاستاذ جوستاف لوبون : « حضارة العرب » قد افادني فائدة لا تقدر ، وان كانت غير مباشرة ، في مجال فهم المتنبي .. فلقـــد اخذت اقرأ المتنبي كله من جديد وبدأت اهتم اهتمامـــا خاصا باشارته التي تتضمن حماسة للعرب في مثل قوله:

وانمـــا النـــاس بالملوك ولا
تفلـــح عـــرب ملوكهـــا عجـــم

واغراني هذا لان اضع هذا رهن التحقيق : ان المتنبي الذي كان من اصل عربي صميم كان يرغب رغبة اكيدة في المجد السياسي الذي كان توميه يتمتعون به قبل ان يتغلب الترك والفرس على دولتهم . وكان اطلاعي على كتاب الاستاذ لوبون يزيد صورة المتنبي وضوحا وتحديـــدا ويشده بقوة الى التيار العربي في ذلك الحين . لقد كانت هناك اجناس ثلاثة او تيارات سياسية ثلاثـــة هي الفارسية والتركية والعربية ، تعمل جهدها للوصول الى حكم المشرق الاسلامي على الاقل عن طريق السيطـــرة على بغداد مركز الخلافة آنذاك .. ومن هنا نشأ الصراع بين الفرس والترك وانتهى بتغلب الفرس على التـــرك ويخاصمهم في الاستيلاء على بغداد والعراق في عـــام ٣٢١هـ ، ولم يبق للترك الا دولتهم الاخشيدية في مصـــر والشام . وكان من الخطأ ان نغفل امر التيار العربي لان سلطان العرب السياسي كـــان ـــ من الناحيـــة السياسية ـــ قد انكمش داخل امارتين صغيرتين في شمال سوريا هي امارة حلب وفي شمال العراق هي امـــارة الموصل اللتين تحكمهما الاسرة الحمدانية .

وحقا لقد انحط شأن العرب السياسي في هذه الحقبة من التاريخ ، لكن من يقرأ السير الشعبية العربية يلاحظ ان العرب كأمـــة وكشعب ظلوا يحلمون بالعودة الى مجدهم السياسي الغابر وان هذه السير ـــ التي يرجع انها نشأت في فترات التدهور السياسي للعرب ـــ تتجه الى الشخصيات العربية البطولية ، كعنترة وسيف بن ذي يزن وغيرهما ، لتتخذ منهما حافزا الى الانطلاق من جديد ، وانها تتجه الى شخص النبي العربي محمـــد صلى الله عليه وسلم باكية منتحبة حيث نجد الشاعر الشعبي يبدأ حكاياته بالصلاة على النبي القرشي التهامي سيد ولد عدنان ، ويشفع ذلك بكثير من البكـــاء الذي يصور الموقف النفسي للامة العربية في هذه العصور كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس .

فالشعب العربي ظل حيا وتواقا الى الارتفاع مرة اخرى الى مجده الغابر على طول الحقب التي شهدت انحطاطا شأنه من الوجهة السياسية بقيام دولة بني العباس التي استعانت بالفرس ثم بالترك في حكمها .

على هذا الضوء الذي نرى فيه التيارات السياسية واضحة محددة من حيث المنبع والوجهة والهدف يمكننـــا ان نرى شاعرنا ابا الطيب المتنبي في مكانـــه الصحيح على خريطة تاريخ المشرق الاسلامي في القرن الرابـــع الهجري داخل تيار من تياراته الكبيرة وبعيدا عن هذا الخلط المضلل بين التيارات السياسية والمذهبية في هذه الفترة ، كما يمكننا ان نزعم حقا اننا نفهم الان سلوك المتنبي فهما قائما على اساس علمي لان سلوكه كفـــرد ينسجم تماما مع حركة التيار العربي في هذا الحين ، من تاريخ العرب بل يمكن القول ان المتنبي كان شرارة لمعت في ظلام التدهور السياسي الـــذي اصاب الامـــة العربية ... وهي شرارة دلت ـــ بما لا يـــدع مجـــالا للشك ـــ على ان الامة العربية كانـــت بركانـــا يغلي بالغضب ، لما اصابها دون ان تملك الوسائل العملية اذ ذاك للنهوض مرة اخرى ، ومن ينصت جيدا الى صوت ابي الطيب المتنبي يتبين له انه ليس صوت فرد بـــل صوت امة ، ومن اجل هذا كان صوت المتنبي ضخمـــا وعميقا وخالدا .. استمع اليه يعبر عن رحلته من مصر بعد اخفاقه فيما قصد اليه فيها ، وكأنما هو صوت امته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولسان حالها :

حتام نحن نساري النجـم في الظلم
ومـا سراه علـى خـف ولا قـدم
ولا يحس باجفـان يحـس بهـا
فقـد الرقاد غـريب بات لـم ينـم

ويقول في حكام عصره الذين كان اغلبهم من الاجانب، والذين كان يحقد عليهم اشد الحقد :

ما زلت اضحك ابلي كلمـا نظـرت
الى من اختضبت اخفافهـا بـدم

وهو يقرر ان يلجأ الى السيف اولا في نضاله من اجل قومه :

حتى رجعت واقـلامي قوائـل لـي
المجد للسيف ليـس المجـد للقلـم
اكتب بنا ابدا بعـد الكتـاب بـه
فانمـا نحن للاسيـاف كالخـدم

وكان ذلك ايذانا بعودة ابي الطيب المتنبي الى مغامرة الثورة بالعرب وهدم السيطرة الفارسية على العراق ، وذلك اثناء فراره من مصر بعد ان اخفق في هدم السيطرة الفارسية او تحطيم حكم « ملوك العجم » عن طريـق سيف الدولة الحمداني ثم كافور . ولا بد لمن يريد ان يفهم المتنبي حقا ان يأخذ في اعتباره سلوكه العملي الى جانب سلوكه القولي اذا صح هذا التعبير ، فهما كيان لا ينفصل او وجهان لشيء واحد ، ومما يجانب الصواب ان يعد المتنبي مجرد شاعر لا غير ، فقد كان الرجـل مناضلا سياسيا من اجل عودة العرب الى مركزهـم الطبيعي في حكم الدولة التي اقاموها بجهودهم ويكفي انه سجن في المرحلة الاولى من هذا النضال حين ثار بالعرب من بني كلب وغيرهم في بادية السماوة وكاد يتلف في سجنه ، ثم تعرضت حياته للخطر المحقق عند سيـف الدولة ثم عند كافور بسبب عدائه للحكم الفارسي في العراق وتحريضه كلا منهما على العمل ضد هذا الحكم بفرض القضاء عليه . وسوف يقال حتما ان هذه دعوى تتعارض مع ذهاب المتنبي الى فارس بعد اخفاقه في مصر لكننا اذا عرفنا حقيقة الامر تبين لنا انـه ليس ثمـة تعارض على الاطلاق ، فقد ظهر اسى المتنبي حين رأى انحسار المد العربي عن فارس في قوله :

ولكـن الفتـى العربـي فيهـا
غريـب الوجـه واليـد واللسان

وكان ذهاب المتنبي الى فـارس امرا يتمشى مـع المنطق الطبيعي للامور ، فقد اخفق في صلته بالدولـة الحمدانية العربية وفي صلته بالدولة الاخشيدية التركية، ولم يعد امامه الا ان يلجأ الى اعدائه ومع ان الفرس هم الذين دعوه الى زيارتهم في بلادهم الا انهم كانوا يعدون العدة للايقاع به . ويذكر صاحب الصبح المنبي عـن حيثية المتنبي ان عضد الدولة الفارسي هو الذي حرض على قتل ابي الطيب اثناء عودته من فارس في طريقه الى العراق . وقتل ابو الطيب المتنبي في « دير العاقول » بالقرب من بغداد التي ظل طيلة حياته يحلم بتحريرهـا من الحكم الفارسي . ويمكن تقسيم مراحـل النضال السياسي للمتنبي الى ثلاثـة اقسام : الاول مرحلـة السماوة ، والثانية مرحلة حلب ، والثالثة مرحلة مصر .

وفي المرحلة الاولى نجد ثورة المتنبي في باديـة السماوة وهي ثورة مزجت بالدين شأنها شأن غيرهـا من ثورات هذا العصر وقد الصقت بالمتنبي لقبه الخالد واستعان فيها بالعرب من قبيلة كلب وكلاب .. وتاريخ هذه الثورة مغلف بالغموض ، الا انه يمكن الاطمئنان الى انها كانت موجهة اساسا الى الحكم الفارسي للعرب والذي بدا المتنبي كارها له اشد الكره في مثل قوله :

وانمـا النـاس بالملوك ولا
تفلح عـرب ملوكهـا عجم
لا ادب عنـدهم ولا حسب
ولا عهـود لهـم ولا ذمـم

وكذلك في قصيدة ابي الطيب الثائرة في هذه الفترة من حياته : ضيف الم برأسي غير محتشم . ونراه فيها يهدد ملوك العرب والعجم في قوله :

ميعـاد كل رقيق الشفرتين غـدا
ومن عصى من ملـوك العرب والعجم

ومعروف ان العباسيين كانوا قد استعانوا بالفرس في اقامة دولتهم ثم غلب عليهم الفرس في اخر الامر .

وفي هذه المرحلة تبدو التأثيرات الشيعية القرمطية حقيقة في شعر ابي الطيب بسبب طبيعة نشأته بالكوفة مركز الشيعة وهدف القرامطة انذاك غير انها لا تلبث ان تزول نهائيا بعد خروجه من محنة السجن التي عاناها بسبب ثورته بالسماوة ولم يبق في نفسه الا النزعة العربية الفطرية الاصيلة فيها والتي تدفع به الى الامير العربي ابي العشائر الحمداني حاكم انطاكية ، وهناك نراه يشترك مع هذا الامير في الحرب ضد جيش السلطان العباسي ويفقد في هذه الوقعة فرسه الطخرور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد كان اتصال ابي الطيب بالامير ابي العشائر مقدمة للمرحلة الثانية من مراحل نضاله وهي مرحلة حلب التي استمرت تسع سنين كاملة ، واهم ما فيها هجوم المتنبي على السلطة السياسية الفارسية في بغداد فقد هاجم معز الدولة البويهي بقوله :

اذا كان بعض الناس سيفا لدولة
ففي الناس بوقات لها وطبول

وهاجم وزيره أبا علي الحاتمي مشيرا الى ما شاع عنه من اغراق شديد في الشراب واللهو والسماع بقوله لسيف الدولة :

الهي الممالك عن فخر فقلت له
شرب المدامة والاوتار والنعم

وهاجم الخلافة العباسية الخاضعة لسيطرة الفرس في بغداد محرضا سيف الدولة عليها بقوله :

فيا عجبا من دائل أن سيفه
اما يتوقى شفرتي من تقلدا
ومن يجعل الضرغام للصيد بازه
تصيده الضرغام فيما تصيدا

وكان سيف الدولة يتبع الخليفة العباسي في بغداد من الوجهة الرسمية ، بينما كان قد تم بينه وبين الفرس نوع من الوفاق وكان ذلك لا يرضي ابا الطيب بطبيعة الحال ويبدو ان ما عاناه المتنبي في مرحلة حلب من حياته كان بسبب هذا الهجوم الذي لم يكن كثيرا وان كان عميقا ونافذا فلم يبد من سيف الدولة ما يدل على انه يرحب باتخاذ سياسة عدائية ضد بغداد ، ويبدو ان ساسة بغداد في ذلك الوقت قد عملوا على اضعاف مركز المتنبي عند سيف الدولة وهز الارض تحت قدميه في البلاط الحمداني في حلب اذ نرى سيف الدولة يغضب من ابي الطيب وكثيرا ما يعلل ذلك بانه نتيجة لهجوم المتنبي على شعراء سيف، الدولة واجتماع امر هؤلاء عليه الا ان بحث الامر وما احاطه من ظروف تجعلنا نعتقد ان سبب الجفوة بين الامير وشاعره ترجع الى اسباب اكثر عمقا واهمية وهي الخلاف في وجهتي النظر السياسية لكل من الرجلين مما يحتاج الى بحث قائم بذاته .

وتبدأ المرحلة الثالثة وهي مرحلة مصر بعد ان تصبح حياة ابي الطيب مهددة بالخطر في حلب ويضطر الى الاختفاء عن سيف الدولة بعد محاولة اغتياله اثر القائه قصيدته الميمية « **واحر قلباه ممن قلبه شبم** » التي عاتب فيها امير حلب عتابا شديدا **ثم يعود اليه** وينكر الامير انه امر بما وقع له .

إلى القارئ العزيز

تعلن إدارة مجلة البيان عن وجود مجلدات السنة الأولى بعدد محدود من مجلة البيان

سعر المجلد ثلاثة دنانير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أنت ؟



وسألتهـــا اواه مـــن انت ؟
يـــا حلوة الشفتين ، يا صمتي
من اين اطلقت الرؤى شعـــلا
والفجر نـــام على المدى الميت
ولكم صرعنـــا الليل محترقـــا
وطعامنـــا من جوعنا يأتي !!
انـــا لن اموت • وفي فمي نغم
متحدر مـــن غربـــة السمت
أأعود طفـــلا • والهوى عدمي
وصداك في قمم الهوى •• كنت !
أأنا اموت ؟ ! وانت في خلدي
يا نبعة الصبوات •• يا نحتي !
والحـــان هل ننسى غلالتـــه
ولكم سخرنـــا من فم المقت
والكأس نحسوهـــا • فتعصرنا
شفقـــا على ارجوحـــة البيت
وشفاهنا ظمأى ونطعمهـــا
قبـــلا من الغفران والسحت
ونجوع ثانيـــة ، بلا ســـأم
وشموعنا مسفوحـــة الزيت

★★★

وشربتهـــا عطرا • ونكهتـــه
رعش الحنين • وغنة الصوت
وتعود تحضنني ••• مرنمـــة
هـــلا نهلت من الدم الميت ؟ !
من انت ؟ ! لا عـــاد الهوى ابدا
ســـأغيب في دوامـــة الموت
وسكبت وجداني بمبسمهـــا
وعصرتها في واحـــة الصمت
وشممت من اعطافهـــا ندمي
وسألتهـــا اواه من انت ؟ !!

عـلى الحـلي

من مجموعة (غريب على الشاطىء)

الحذاء

بول ماوهمني
ترجمة : حمدي حنبلي



(رئيس قسم التربية وعلم النفس ــ كلية ولاية ميسوري الجنوبية ، في رأس جيراردو . فازت هذه القصة بجائزة مجلة الجمعية الوطنية للتربيـــة في اميركا ، وقدرهـــا الف دولار لشهر اكتوبر سنة ١٩٦٦ . ميزة هذه القصة هي البساطة ورغم سرديتها الا انها تطبـــع قارئها بانفعال رقيق يؤثر في النفس) .

كانت الحياة خلال الثلاثينات صعبة في جميع المناطق الصناعية .. وفي شرق بنسلفانيا حيث بلدتي القديمة ، كـــان الرجال يذرعون الشوارع بالالاف بحثا عن عمل . وكان اخوتي الكبار من هؤلاء . ولم يكن ذلك لاننا كنا جائعين ، عفوا ، بل لاننا لم نأكل الكفاية .

ولكوني كنت فردا من اصغر الاولاد في عائلة كبيرة ، كانت جميع ملابسي معدله ، بعد ان تأخذ دورها في ترتيب تنازلي من الاكبر الى الاصغر فالاصغر فتقص السراويل الطويلـــة من عند الركب . وتستخدم القطع المقصوصة في ترقيـــع الثقوب التي في الجزء المتبقى مـــن السراويل . اما القمصان فتؤخذ على ما هي عليه بعد ان تشد الى الجسم شـــدا . ولكن الاحذية لها قصة مخالفـــة . فغالبا ما تمس القدم التي تدخلها الارض مباشرة ، فهي بالتحديد قد بليت . اذ لا يستغنى عن الحذاء الا في حالـــة خروج القدمين من الجلد فقط .

اتذكر اني لبست ما يسمى بالحذاء وكان ممزق الجانبين ، وقد نزعت معظم وجهه بعد ان كاد نعله يذوب وقطعت شريطين من المطاط اخذتهما من اطـــار داخلي لسيارة وثبت بهمـــا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابهامي ، فغدا الحذاء اشبه « بالزنوبة » الحالية وكان يصفق في قدمي عند المشي محدثا جلبة وايقاعا لم اكن ارتاح لهما .

كان لي اخت متزوجة من رجل يعمل في الاكوادور ، صحبته الى مكان عمله. وكانت تمدنا ببعض العون اذا ما سنحت لها الفرصة لارسال بعض الملابس القديمة . وفي يوم سابق على عيد الشكر ، تسلمنا منها صندوقا فيه بعض هذه الحاجيات . فتحلقنا حول الصندوق ، وتزاحمت الانظار على ركن منه ، حيث برقد فيه زوج من الاحذية لم اكن اعرف نوعه في ذلك الوقت ، وكذلك امي لم تستطع التفكير فيه ولا والدي ، ولا حتى اي اخ من اخوتي ولم يدر بخلد اي منا سوى زوج من الاحذية كان لاختي فملته .

نظرت امي الى قدمي فلاحظت فيها بقايا حذائي القديم ، وجرت بصرها نحو الصندوق ، ومدت يديها الى الحذاء الهدية واخرجته لي ، وبحركة لا ارادية ، رجعت الى الخلف ويدي وراء ظهري ، ونظرت الى حلقة العائلة ، **واخذت بالبكاء بمرارة ، رثاء لحالي ، يا للعجب ، لم يسخر مني اي اخ من اخوتي او حتى يعيرني بالطفولة ، كما اعتادوا من قبل .**

ان مجرد التفكير بذلك مؤلم حتى بعد مرور الثلاثين عاما عليها . اخذتني امي جانبا وقالت لي انها آسفة لذلك . ولكن ما باليد حيلة خاصة وان الشتاء على الابواب ، وليس بوسعهم شراء حذاء لي غيره ، لذا كان علي ببساطة ان ارضى بهذا الحذاء . تألم والدي للامر ولكنه لم يتفوه بكلمة . اما اخي الحبيب مايك فقد مسح على راسي وقال لي : « ان كل شيء سيتحسن قريبا » . واخيرا ، بعد ان خلدت لنفسي لبست حذاء اختي ، كان لونه احمر مبهجا للنفس ذا راس مدبب واجنحة على الكعبين ، وكعباه عاليان ، الا انه حذاء مريح في المشي وجميل في المنظر . جلست بمفردي ، احدق فيه من خلال دموعي ، ساهما ، مجترا الامي وشعوري بالهوان.

وفي صباح اليوم الثاني ، استيقظت مبكرا كعادتي ، ولبست ملابس المدرسة ، استنفذت في ذلك اكثر وقت استطعت ان استقطعه ، وكان اخر شيء لبسته ذلك الحذاء .

شعرت ان عيني قد امتلأتا بالدموع مرة ثانية ، ولكن دحرت الدموع الى محاجرها ثانية . وما ان كان علي ان اذهب الى المدرسة ، لذا اخذت كتبي وسرت في الطريق الخلفي متحاشيا المرور على الزملاء ، الى ان وصلت الى ساحة المدرسة . وهناك كان عدوي الوحيد في المدرسة « تمي اوتول » ، كان اطول مني واكبر سنا ، وكلانا في الوقت ذاته تلميذ في صف الانسة « ميلر » .

وما ان وقعت عيناه على حذاء اختي في قدمي حتى اندفع نحوي وامسك ذراعي وثناهما وبدا يصيح « ايفانس ، لابس حذاء بناتي ، ايفانس يلبس احذية البنات » .

آه ، قاومته يومها كثيرا لكي افلت منه ، ولكنه كان اكبر مني واشد قوة ، فلم يدعني افلت في بداية الامر حتى تجمعت حولنا حلقة كبيرة من الزملاء ، فلم اعرف ماذا علي ان اعمل، ولكن فجاة وصل الاستاذ المدير فصاح بنا ، ادخلوا ، حان وقت الدرس .

فانزلقت من الباب بسرعة الى غرفة الصف قبل ان يتمكن تيمي من الاستمرار بمضايقتي.

جلست الى مقعدي ، بهدوء وادب ، وعيناي الى اسفل ، وقدماي مرفوعتان تحت مقعدي ولكن حتى هذه لم توقفه ، فاستغلها .. وفي كل مرة مر بها من جواري ، وكان يرقص باستهزاء وينادني « يا اختي » ويسخر من حذاء اختي .

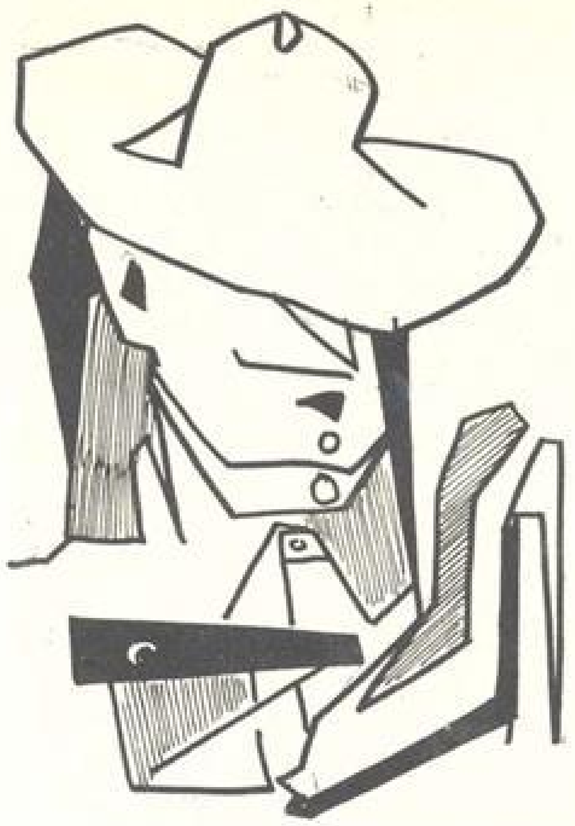
وفي الضحى ، كنا نتكلم عن الثراء في الغرب وعن المكاسب التي يجنيها العاملون هناك ، وكانت الانسة ميلر تحدثنا عن الطرق الممهدة والرواد والمناجم والمراعي في كانساس وكولارادو وتكساس وفي الاماكن الاخرى. وفي هذه الاثناء مر بنا الاستاذ المدير ووقف بالباب يستمع بهدوء لما يدور من حديث .

كنت كغيري من التلاميذ ، قبل ذلك الصباح ، ابغض المدير كثيرا ، كنا نعتقد ان له خصالا سيئة ، اذ انه ينحاز الى الجنس الاخر ، فيفضل البنات عنا .

فوقف المدير بباب الغرفة ، ولم يكن احد منا يعرف — سوى المدرسة — ان المدير قد قضى فترة من حياته في ضياع ومراعي اوكلاهوما ، حيث تربى الخيول والبقر .

التفتت اليه المدرسة وسألته ان كان يرغب في مشاركتنا الحديث والنقاش ، وكم كانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دهشتنا عندما وافق . ولكنه بدلا من ان يخبرنا بالاشياء المألوفة ، بدا يتكلم عن رعاة البقر ، وطرق معيشتهم وانماط حياتهم وعن الهنود الحمر ، وامور كهذه ، حتى انه اسمعنا بصوته الاجش الخشن أغنيتين لرعاة البقر .

واستمر على هذه الحال حوالي اربعين دقيقة ، وكان الوقت ، تقريبا ، حوالي الظهر وفي وقت كنا فيه على اهبة الانصراف للغداء ، والمدير يهم بالانصراف انزلت قدمي الى الارض فاحدث جناح كعب حذائي صوتا ، وفجأة انحنى المدير بجانب مقعدي ، ومضى في هدوء .. تطلعت الى وجهه وتحققت انه لا يزال ينظر تحت مقعدي . ويحملق في حذاء اختي . **شعرت بان وجهي اخذ يحمر خجلا فبدأت احرك قدمي لاخبئها تحت المقعد ، ولكن قبل ان استطيع ذلك همس المدير : « احذية رعاة البقر الاكسفوردية »** . وفجأة وبصوت فيه لطف ومحبة ، بينما تطلع بقية التلاميذ الى الجهة التي يجلس فيها . وقد سمعوا ما قال ، صاح بدهشة وعجب : « ايفانس ، من اين حصلت على احذية رعاة البقر الاكسفوردية ؟ »

وبعدها تحلق جميع الاطفال من حولي وحاصروني واياه ، واقتربوا منا اكثر فاكثر بقدر ما استطاعوا ، حتى المدرسة الانسة ميلر . وكان كل تلميذ منهم يقول : « **لقد حصل ايفانس على زوج احذية رعاة بقر الاكسفوردي اصلي** » . **لقد كان ذلك اليوم ، ببساطة ، اسعد يوم في حياتي ..**

ولكونه لم يكن هناك وقت كاف فقد اخبر المدير مربيتنا الانسة ميلر، انه من المستحسن ان تستأذني ايفانس ليعرض حذاءه على زملائه ليشاهدوه ، ويلقوا عليه نظرة فاحصة ليعرفوا احذية رعاة البقر .

مر الجميع ، حتى تيمي اوتول بجوار مقعدي ، وطالعوا حذائي الجميل ، فشعرت كما لو كنت عملاقا . ولكني تعلمت من امي ان امتنع عن التفاخر والمباهاة ، لذا كنت احاول ان اجلس بتواضع ، محاولا الا اكبر راسي كثيرا ، واخيرا جاء وقت الغداء ، فكان من الصعب علي ان اشق طريقي الى الخارج لان كل تلميذ من زملائي يريد ان يطالع حذائي مرة اخرى . وبعدها كل فرد منهم يحاول ان يجرب لبسه والمشي فيه . فكنت اثنيهم عن ذلك بعض الوقت واتذرع بان علي ان افكر بالامر اولا .

وبعد ظهر ذلك اليوم ، سألت المدير ، عن رايه بالسماح لزملائي لبس حذائي الاكسفوردي ، ففكر وقدر .. واخيرا قال لي : لا بأس في ان تدع زملاءك ، الاولاد منهم فقط، يلبسون الحذاء اذ انه لا يليق بالبنات ان يلبسنه .

ومن الغريب ان المدير فكر بنفس طريقتي في التفكير . وهكذا سمحت لجميع زملائي من الاولاد ، في غرفة صفي ، بلبس حذائي حتى تيمي اوتول ، وان اخرته الى الاخر .. وكان الوحيد الذي وقف بجانبي ، بعد ان اكتفى الاخرون كان يريد مني ان اكتب لاختي، واسألها ان كان بامكانها ان ترسل له حذاء مثل حذائي ذاك .. ولكني لم اكتب لها . وكنت الوحيد الذي يلبس حذاء رعاة بقر اكسفوردي في بلدتي ، وحقيقة كنت احب ان اكون كذلك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغرب الجائر

في القاهرة .. اصدر السيد عبدالله زكريا الانصاري اربعة دواوين شعرية للمرحوم الشاعر محمود شوقي عبدالله الايوبي ، واليوم لديه مجموعة هائلة من اثاره الادبية ، جلها شعر . وبين ايدينا الان ديوانه الخامس الذي هو بصدد الطبع ، وقد سماه المرحوم (الحان الثورة) يحتوي على مجموعة من القصائد الوطنية ، وهذه القصيدة (الغرب الجائر) احدى قصائد هذا الديوان ، يسعدنا ان ننشرها

البيان

يا رب ان الداء داء موجع
بربوعنا والليل ليل أسفع
يا رب ان الغرب شذ بجوره
وعلى هوى اذنابه يتشيع
هذا يهودي وذلك (خائن)
والكل في الوطن المعذب يفزع
اني نظرت الى الربوع وجدت من
ظلل المصائب والردى ما يفجع
بعض الى شهواته متحفز
متكالب عن غيه لا يرجع
والغرب لاستعبادنا لا ينتهي
من جوره يزجى الخطوب ويصفع
والبعض منا وهو سيد قومه
يمشي مع المستعمرين ويخنع
حاشا الاباة الثائرين فانهم
عند العروبة نورها المتشعشع
بهم تعز محارم ومواطن
وبهم اذا حم القضاء المرجع
هم بيضوا تلك الوجوه وسجلوا
صحف الخلود بصنعهم وترفعوا
هذي مآثرهم تهلل في الحمى
وبكل قلب ضوءها يتجمع
وشبابهم في الدهر ثورة شعبنا الـ
ـعربي عند جلاله تتخشع
مجد بنى شهداؤنا ابراجه
فيها محاريب العبادة تلمع

محمود شوقي الأيوبي

من ديوان

(الحان الثورة)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بَين نور الدّين

لم تجذب شخصية اسلامية في العصور الوسطى انتباه المؤرخين من عرب وغير عرب كما جذبتها شخصية صلاح الدين ، على الرغم من انه في تكوين دولته ــ **اذا تركنا جانبا اتساع تلك الدولة** ــ لم يخرج على **المنطق العام الذي كانت تقوم عليه الدولة** في ذلك العصر . **فأساس هذا الاهتمام اذا انه قام بتوحيد الجبهة المصرية الشامية تحت قيادته ، ومنحه ذلك** حق **قيادة النضال ضد الصليبيين في اعنف مرأحله . وقد جذبت هذه النقطة اهتمام المؤرخين بصورة دفعت بمراحل حياته الاخرى الى الظلال .**

وفي الحق ان انتقال السلطة العليا في الدولة الاتابكية من يد نور الدين الى صلاح الدين مؤسس الدولة الجديدة يعتبر مثلا نادرا في انتهاء دولة لتخلفها دولة اخرى . فكثيرا ما يكون ذلك بسبب عوامل تحلل وضعف دبت في الاولى فتقوم الثانية لتجدد من حياة الناس ومعنوياتهم ، وهذا العنصر لم يتحقق فيما بين الدولة الاتابكة التي قادت النضال ضد الصليبيين منذ عماد الدين زنكي الملقب بالشهيد ، والذي اورث حميته لولده نور الدين ، الذي حقق بدوره انتصارات واضحة على الصليبيين ، كانت اساس ما بنى عليه صلاح الدين .

ثم نلاحظ ان قيام دولة بعد دولة كثيرا ما كان يعني تغيرا في اساس الحكم او فلسفته وهذا العنصر ايضا لم يتحقق فيما بين الدولتين ، فقد كان نور الدين سنيا وكذلك كان صلاح الدين ، كما كان كلاهما يقرب الفقهاء ويعتمد على رجال الدين في خلق راي عام ومؤازر ، وكان « اعادة التسلح الخلقي » هدفا للرجلين معا ، لخلق حياة سياسية واجتماعية نظيفة ، وقد كان صلاح الدين في خدمة نور الدين ، ومع هذا لا يمكن ان ينظر الى العلاقة بينهما الا على انها وجه لعلاقة بين بيتين لا شخصين ، هما البيت الاتابكي والبيت الايوبي . لذلك يتحتم علينا ان ننظر الى اساس العلاقة بين هذين البيتين ، ومنطق العصر الوسيط في علاقات الاسر .

كيف قامت دولة نور الدين :

يعيب النظم التي تقوم على اساس من العنصر المحارب انها تأكل نفسها بعد ان تنتهي من اعدائها ، وهكذا كان البلاجقة الذين سيطروا على الخلافة العباسية في القرن الخامس الهجري ، ولذلك كان فيما فكر فيه ملكشاه «١» للاقلال من النزاع بين امراء السلاجقة اقطاع بعض المناطق لمن تثق بهم الدولة ، وذلك لاتساع رقعة الدولة وصعوبة الهيمنة عليها وفض نزاعات امرائها ، وظنا منه ان تسليم الارض الى المقطعين يضمن عمارتها لاعتنائهم بأمرها اكثر مما لو اشرف عليها ديوان واحد .

وهكذا منح آقسنقر التركي حلب ثم الموصل سنة ٤٨٧ هـ ــ ١٠٩٤ م ، وامام عوامل متغيرة سيطر ابنه عماد الدين زنكي على واسط والبصرة ثم الموصل ، ثم حلب ، وقد اقره اميره الب ارسلان بن محمود علي ضم هذه البلاد لسيطرته اذ كان يعلن انه فتحها باسمه ، وهذا يعطينا اساسا اخر من اسس العصر وهو اقرار السلاطين السلاجقة لمبدأ توارث الحكم بين الاتابكة التابعين لهم . وقد كان زنكي طموحا واسع الامال في ملك قوى ، فامتدت يده الى السلطنة في بغداد بقصد التأثير فيها حتى حاصر قصر الخليفة العباسي ، لكنه هزم وفر هاربا ، لكنه استطاع تحت ظروف اخرى ان

وصلاح الدّين

بقلم : محمد حسن عبد الله

يسترد ما فقد . وان يورث دولته مضافا اليها امارة الرها التي طهزها من الصليبيين الى ولده نور الدين محمود الذي ورث عنه الكثير من خصاله .

الايوبيون ..

وينتسب الايوبيون الى جد كردي . حاول بعض المؤرخين العرب ان يجعله عربيا ، وفي كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزي اكثر من سلسلة نسب ينتهي بعضها بالايوبيين الى قبيلة هوازن ، وبعضها الى قيس عيلان الى عدنان جد العرب الاول ، وقد نبه الدكتور محمد مصطفى زياده في تعليقه على الكتاب المذكور الى عقم المحاولة ، كما فسرها الدكتور عبد المنعم ماجد بانها من فعل الفقهاء الذين تقربوا بذلك الى الايوبيين بعد ان علا نجمهم .

وقد عمل نجم الدين ايوب ومعه اخوه شيركوه في خدمة مجاهد الدين بهروز الذي جعل نجم الدين مستحفظا لقلعة تكريت ، وفي هذه القلعة ولد صلاح الدين يوسف بن ايوب ، ويحلو لبعض المصادر ان تلجأ الى الاثارة وابراز مفارقات القدر ، حتى قال صاحب طبقات الشافعية عن ميلاد يوسف ، وان حملت صيغته معنى التشكيك : « وقيل ان ابان خرج من **تكريت** في الليلة التي ولد فيها صلاح الدين فتطيروا به ، وقال بعضهم : لعل فيه الخيرة وانتم لا تعلمون ، فكان كذلك » (١) .

ظروف اللقاء .. وتطوره :

وقد حكى ابن الاثير (١) الظروف التي ربطت بين الدولة الاتابكية وال شاذى . فعندما انهزم اتابك الشهيد زنكى بن آقسنقر بالعراق سنة ٥٢٦ هـ، وصل منهزما الى تكريت ، ولم تكن معاداة الوضع القائم في بغداد بمأمونة ، ولكن نجم الدين آواه واعانه وخدمه ، فالحق ذلك بهروز ، ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت ، فجعل بهروز ذلك تعلة لاخراج الاخوين من القلعة ، فسارا الى الشهيد زنكي ، فاحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعا حسنا ، فلما ملك قلعة بعلبك جعل « ايوب » مستحفظا بها ، فلما قتل الشهيد زنكي حصر عسكر دمشق — التي لم يكن قد استطاع السيطرة عليها — **بعلبك** . وايوب بها ، وقد فكر في الاستعانة بخليفة زنكي وابنه سيف الدين غازي ، لكنه كان مشغولا عنه — كما يزعم ابن الاثير — باصلاح البلاد ، فاضطر ايوب الى تسليم بعلبك الى معين الدين محمود صاحب دمشق ، في نظير اقطاع ذكره فاجيب الى ذلك ، وصار من اكبر الامراء بدمشق ، واتصل اخوه اسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد مقتل زنكي وكان يخدمه في ايام والده ، فقربه وقدمه ورأى منه شجاعة يعجز غيره عنها ، فزاده حتى صار له حمص والرحبة وغيرهما ، وجعله مقدم عسكره ، فلما اراد نور الدين ملك دمشق امره فراسل اخاه « ايوب » وهو بها وطلب منه المساعدة على فتحها فاجاب الى ذلك ، وهنا صار الاخوان — ايوب وشيركوه — في خدمة نور الدين ومن اعظم امراء دولته .

وقد حذرنا المستشرق « جب » من تفسيرات ابن الاثير حيال الايوبيين ووصفه بالتحامل عليهم . وهذه

اللمحة السريعة توجه اكثر من اتهام : فكيف سلم أيوب بعلبك نظير اقطاع من سلطة دمشق ؟ وكيف عاد فساوم للرجوع وسلم دمشق الى نور الدين ؟ وهل هو منطق العصر والتركيب الاجتماعي الذي جعل الاسر صاحبة الاقطاعات تبحث عن نفعها دون نظر الى « السير » او « الهدف » ؟ ويعلق الدكتور عبد المنعم ماجد على افتراق الاخوين ، بانضمام شيركوه الى نور الدين وقبول أيوب التعاون مع معين الدين في دمشق بقوله : « ويظهر لنا هذا التصرف من جانب الاخوين غامضا ، فربما كان لهما اطماع خاصة في السيطرة على الاتابكيتين ،بان وزعا شخصيهما بينهما ، او انه على الاقل كان هناك تدبير سابق بين نور الدين وأيوب للسيطرة على اتابكية دمشق ، او حتى لتفادي القتال في الوقت الذي كانت هناك حملة صليبية جديدة تتجه من اوروبا نحو الشرق» .

ويؤيد هذا الرأي قول ابن الاثير في الاقتباس السابق : « فلما اراد نور الدين ملك دمشق امره فراسل اخاه ايوب وهو بها وطلب منه المساعدة على فتحها فاجاب الى ذلك » .

من الطبيعي وقد اجتمعت دمشق وحلب في قبضة نور الدين ان يعلو قدر ال شاذى ، لما اشتهروا به من الشجاعة ، ولما ادوا له هو شخصيا من خدمات في تكوين دولته ، فاحلهم من نفسه في اعلى مكان وبخاصة كبيرهم ايوب الذي قال ابن واصل عن منزلته : « وكان نور الدين اذا جلس لا يجلس احد الا باذن ، الا الامير نجم الدين ايوب بن شاذى رحمه الله ، وما من عداه كاسد الدين شيركوه ومجد الدين ابن الدايه وغيرهما فانهم كانوا يقفون بين يديه الى ان يتقدم اليهم بالقعود » .

ولم يقف الامر عند التقدير الادبي من نور الدين لال شاذى ، وانما منحهم اخطر المناصب في دولته ، فجعل حمص واعمالها وهي المدينة الثالثة بعد دمشق وحلب — اقطاعا لشيركوه ، وعين ايوبا حاكما على دمشق وشيركوه نائبا عنه (١) كما كان شيركوه مقدم عسكر نور الدين — كما قال ابن الاثير ، اما صلاح الدين فقد كان رئيسا لشرطة نور الدين « الشحنجية » وبذلك تمكنت هذه الاسرة تماما في دولة نور الدين .

ظروف مواتية :

ويقبل شاور وزير مصر الفاطمية وطريد ضرغام ، في صورة المستنجد بنور الدين ان يعيد الامور في مصر الى نصابها فيرسل معه نور الدين حملة بقيادة شيركوه ، وقد اتت هذه الحملة الى مصر والانقسام المذهبي والسياسي على اشده بين الشام الاسلامية ومصر الاسلامية ، كما كانت الخلافة الفاطمية في حالة تبعية فعلية لملكة بيت المقدس ، وتدفع الاموال رمزا لهذه التبعية . ويلاحظ المؤرخون ان نور الدين قد تردد اول الامر في اجابة شاور الى طلبه بسبب توسط الفرنجة بينه وبين الديار المصرية، الا انه قبل تحت الحاح شيركوه ، الذي كان يرغب بشدة في الذهاب على راس الحملة الى مصر ، وربما يكون الدافع على تحريض شيركوه لنور الدين انه فكر في تأسيس ملك فيها لاسرته ، اذ يبدو انه كان متفقا في ذلك مع أخيه ايوب ، بدليل اصطحاب صلاح الدين ، الذي لم يكن على علم — فيما يبدو — بالمرمى البعيد لهذه الحركة اذ روى عنه انه قال : « خرجت مع عمي كارها وانا كمن يقاد الى المذبح » . او كما قال ابو المحاسن عن صلاح الدين : « وان الله ليعجب من قوم يقادون الى الجنة بسلاسل » ، الا ان بعض المصادر تلمح الى ان نور الدين لم يجد بأسا من ذهاب شيركوه وصلاح الدين مع الحملة الى مصر تخلصا من تمكن ال شاذى في دولته.

على اي حال ، فقد ذهب شيركوه ومعه ابن اخيه ،ولم يحقق نتائج حاسمة نتيجة عبث شاور لكنه عاد كما يقول صاحب النوادر السلطانية : وقد شاهد البلاد وعرف احوالها ، وعاد منها وقد غرس في قلبه الطمع في البلاد وعرف انها بلاد بغير رجال . اذ كانت الوزارة استبدادا بين الاقوى والاقل قوة ، حتى صارت البلاد في مطاردات شبه دائمة مع ما فيها من خيرات تغرى ، وقد الح ابن الاثير الى ذلك فقال عن شيركوه : وكان بعد عودة منها لا يزال يتحدث بها ويقصدها ، وكان عنده من الحرص على ذلك كثير » ، ويهمنا هنا ان نعرف ان شيركوه قد استقر وزيرا للعاضد عقب العودة الثالثة الى مصر ، محطما اهم شرائط الوزارة للفاطميين ، فقد اشترط فيمن يتولى منصب الوزارة الاخلاص لعقيدة الدولة ، لان الدولة الفاطمية كانت ترتكز في اساس بنائها على المبادىء الشيعية ، فلم يكن بد من ان يكون الوزير الذي يحتل المكان الثاني بعد الخليفة شيعيا او على الاقل من انصار الدولة ، وقد كان شيركوه سنيا لا يوقر الشيعة ، ومع هذا ثنى العاضد له اللقب ، فهو « الملك المنصور وامير الجيوش » الا انه لم يستمتع باثار انتصاره اذ عاجلته المنية بعد نيله الوزارة بنحو شهرين ، ولكنه لم يذهب حتى قضى على الد اعداء وجوده في مصر وهو الوزير « شاور » ويقال ان القضاء عليه كان بتدبير من صلاح الدين ومشورته ، لا مجرد التنفيذ .

وزارة صلاح الدين :

وبوفاة شيركوه صار صلاح الدين وزيرا للعاضد ، وقد اثير حول توليته صلاح الدين اقوال كثيرة منها انه تولاها نتيجة لتوصية سابقة من شيركوه ، او ان العاضد منحه اياها لظنه انه اصغر القواد « الامراء » النورية سنا ، ليكون تحت يده اذ لم يكن عمر صلاح الدين يزيد عن اثنتين وثلاثين سنة ومن الممكن افساد امراء النورية

(١) وكان ذلك بمشورة وزيره نظام الملك

واستمالتهم ضده ، وانه احس انه مثل شيركوه نه طموح قد يستغله لمصلحته في معارضة نور الدين . وان كان سجل التولية يقول انه اختاره لانه جمع بين حكمة المشيب ومضاء الشباب ، اي لقوة شخصيته ، ومهما يكن من شيء فان اخطر ما في الموقف ، تلك العبارة التي جاءت في خطاب التولية ، وهو من انشاء القاضي الفاضل : وباشر مستبشرا ، واستوطن متدبرا ،وابسط يدك فقد فوض اليك امير المؤمنين بسطا وقبضا وارفع ناظرك فقد اباح لك رفعا وخفضا .. واما القضاة والدعاة مهم بين كفالتك وهديك ، والتعريف على امرك ونهيك ، فهي وزارة تفويض تضع في يد الملك الناصر كل شيء حتى قضاة الدولة ودعاتها ، والدعاة هم شارحو وناشرو التشيع في البلاد .. واذا فقد صار صلاح الدين القابض على زمام الامور من الوجهة الرسمية .

والسؤال الذي تغفله كافة المراجع التاريخية في هذه المرحلة هو : هل يحق للعاضد — وهو معدود في سلطته كخليفة — ان يختار وزيره من بين قادة الجيش المنتصر ؟ وهل من حق صلاح الدين ان يقبل الوزارة دون ان يستشير سيده نور الدين في القبول او الرفض ؟ هذه نقطة تبدو غامضة ، ولعلها كانت اول الوحشة بين صلاح الدين وسيده الذي فوجيء به وقد صار وزيرا متمكنا في مصر ..

الوزير صلاح الدين :

ملكت الاحلام زمام صلاح الدين ، فلم يتردد في قبول الوزارة ، وبدا يعمل في كل اتجاه ، ويصور المؤرخون هذه الفترة من بداية الوزارة تصويرا يكمل بعضه بعضا ، فيقول ابن شداد عنه بعد شيركوه : « وفوض الامر بعده الى السلطان ، واستقرت القواعد واستتبت الاحوال على احسن نظام ، وبذل المال وملك الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها ، وشكر نعمة الله عليه فتاب من الخمر واعرض عن اسباب اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد وما عاد عنه ولا ازداد الا جدا الى ان توفاه الله الى رحمته ، ولقد سمعت منه يقول : « لما يسر الله لي الديار المصرية علمت انه اراد فتح الساحل لانه اوقع ذلك في نفسي » ويقول المقريزي : « ففوض العاضد وزارته الى صلاح الدين ونعته بالملك الناصر ، فمشى الاحوال ، وبذل الاموال واستعبد الرجال وتاب عن الخمر فترك معاقرته واعرض عن اللهو » ويقول عنه الدكتور نظير حسان سعداوي انه : « اخذ في تقوية مركزه ونور الدين على قيد الحياة ، فعمل على ترحيل كبار القادة في الجيش النوري الى الشام مثل عين الدولة الياروقي وعز الدين جرديك وغيرهم ممن لم يرقهم اختياره للوزارة دونهم .. ثم احاط نفسه على الفور بجماعة الاسدية المنتسبة الى عمه المتوفى وعدتهم خمسمائة مملوك ومن اعيانهم الفقيه عيسى الهكاري وجاولي الاسدى وعلم الدين كرجي الاسدي .. وبهاء الدين قراقوش .. ثم بطائفة المماليك الصلاحية المنسبة اليه » .

وهذه النصوص تضعنا امام الحقائق التالية :

١ — ان صلاح الدين قوبل بمعارضة من كبار قادة الجيش النوري ، وكان من بينهم خاله الحارمي ، وقد لعب الفقيه عيسى الهكاري دورا هاما في تفتيت المعارضة وانتهى الامر بمفارقة الغاضبين وعودتهم الى نور الدين في الشام .

٢ — ان صلاح الدين كان زاهدا في المناصب ، لكنه حين وجد نفسه وزيرا في مصر استيقظ طموحه ، وظن ان الاقدار وضعته في هذا المكان ليقوم بدور هام في حياة المسلمين .

٣ — وانه من اجل ذلك تنازل عن عيوبه الشخصية ليخلق رأيا عاما مؤازرا ، فتاب عما يعد من المعايب ، وبذل المال وقرب الرجال . وكان ذلك سبيله للقضاء على العوائق التي اعترضته في قصر الخليفة ، وبين بطانته واعوانه من السودان وغير السودان ، وبدا يعتمد اعتمادا صريحا على الرابطة الاسرية (الاكراد) وعلى مماليكه .

الوحشة
اسبابها — تطورها — مظاهرها

البداية :

لا شك ان العائدين المغاضبين من الجيش النوري الذين فارقوا صلاح الدين استطاعوا ان يلقوا بذور الشك في نفس نور الدين ، فضلا عن استعداده الطبيعي لذلك من تجمع الاسرة في المناصب الكبيرة ، وشيوع مبدا اغتصاب المناطق والسلطات في ذلك العصر ، وعبارة ابن شداد تشعر بان الوحشة بدات منذ تولى صلاح الدين الوزارة يقول : « ولما عرف نور الدين استقرار السلطان بمصر اخذ حمص من نواب اسد الدين وذلك في رجب سنة اربع وستين » وهي السنة نفسها التي تولى فيها صلاح الدين ، ويبدو ان هذا الاجراء كان لمجرد الاحتياط ، لان نور الدين كان يؤمن بقوة نفسه وسيطرته على رجاله ، ولم يكن جد بعد من صلاح الدين ما يشعر باتجاه الاحداث في المستقبل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وان كان قد بدأ تصفية العناصر الموالية للحكم الفاطمي او لبعض اسر الوزراء السابقين ، فانه فعل ذلك بوصفه نائبا لنور الدين في مصر .

الغاء الخلافة الفاطمية :

تلك هي المشكلة الاساسية التي فجرت الموقف بين صلاح الدين ونور الدين ، وكشفت عن مراوغة الاول في اطاعة امر سيده ، فقد كان ارسال الجيش النوري منذ البدء يهدف الى الغاء الخلافة واعادة مصر الى بني العباس . فها هو ذا الشاعر عماد الدين الإصفهاني يخاطب شيركوه في منطلقه الى مصر :

رد الخلافة عباسية ودع الـ
دعي فيها يصادف شر منقلب
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها
فالحزم عندي قطع الرأس والذنب

لكن المقادير لم تمهل شيركوه ليحقق امنية الشاعر التي هي امنية سيده نور الدين ايضا لكن صلاح الدين طال به الوقت ولم يفعل ، مع ان الخلافة والخليفة كانا من الهوان عليه هو شخصيا بحيث اخرج الخليفة للقاء والده ايوب حين قدم على مصر !!

ويبدو ان صلاح الدين اغلق مسامعه دون نداءات نور الدين المتكررة بالغاء الخلافة امام اعتبارات هامة من وجهة نظره ، واوضاعه المقبلة كما خطها لنفسه . فقد اختبر وقع الغائها بين اعيان المصريين فوجد ميلهم صريحا لهذه الخلافة العلوية ، ووجد انه لو قام به سريعا لقامت ضده فتنة لا تتدارك نتائجها ، ويكمل ابن الاثير صورة موقف صلاح الدين في تلك الفترة فيقول : « وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم — اي للفاطميين — ويريد بقاءهم خوفا من نور الدين ، فانه كان يخافه ان يدخل الى الديار المصرية ياخذها منه ، فكان يريد ان يكون العاضد معه حتى ان قصده نور الدين امتنع به وبأهل مصر عليه ، فلما اعتذر الى نور الدين بذلك — يعني بخوفه من ثورة المصريين — لم يقبل عذره والح عليه بقطع خطبته والزمه الزاما لا فسحة له في مخالفته ، وتدل عبارة ابي الفداء على ذلك ايضا اذ يقول ان نور الدين ارسل الى صلاح الدين يأمره حتما جزما بقطع الخطبة العلوية واقامة الخطبة العباسية » ، وقد ادت مماطلة صلاح الدين في اسقاط الخلافة الفاطمية الى خلق رأي عام في مصر يؤمن مسبقا بان الخلافة الفاطمية قد انتهت وان مصر عائدة لا محالة الى التبعيةللعباسيين، مما انعكس على عبارة ابن الاثير ان الخلافة الفيت ولم ينتطح فيها عنزان ، وان كان لينبول يقدم تفسيرا اخر وهو احتمال الا تكون الدعوة الشيعية قد تغلغلت في نفوس المصريين ، وهذا الراي لا يخلو من وجاهة ، وان كان المصريون قد احسوا بالحزن لزوال استقلال بلادهم وظهور العناصر الغريبة تتولى زمام امورهم .

وفي غضون هذه السنوات الثلاث ، التي احتدم فيها الخلاف بين نور الدين وصلاح الدين حول موضوع الخلافة الفاطمية ، كانت هناك مواقف اخرى يتذبذب فيها موقف نور الدين بين الشك في ولاء صلاح الدين وبين الثقة فيه وتأييده .

١ — ففي اعقاب تسلم صلاح الدين لزمام السلطة في مصر وزيرا للعاضد وذائبا لنور الدين نرى هذا الاخير ينزع حمص من ايدي اتباع شيركوه .

٢ — الا انه حين حوصرت دمياط من الحملة الصليبية الثالثة ١١٦٩/٥٦٥ نجد نور الدين يغير على حصون الفرنجة بالشام ، مما كان عاملا مساعدا في فشل الحصار لدمياط .

٣ — وحين علم نور الدين بان الفرنجة تحاول ان تسعى الى صلاح الدين بمصر ، فانه أمده بعسكر من الشام فيهم اخوه نوران شاه بن ايوب وهو اكبر من صلاح الدين ، ثم راح يوصيه قائلا : « ان كنت تسير الى مصر وتنظر الى اخيك انه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وانت قاعد فلا تسر ، فانك تفسد البلاد واحضرك حينئذ واعاقبك بما تستحقه ، وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقائم فيها مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني ، فسر اليه واشدد ازره ، وساعده على ما هو بصدده (١) » . وهذه الوصية يمكن ان تكون ذات وجه برىء ، كما يمكن ان تكون تحريضا متسترا على قيام التنافس والصراع بين الاخ الاصغر الذي يملك بالفعل والاخ الاكبر الذي كان يملك ويخدم من اخيه .

٤ — وحين طلب صلاح الدين اهله وعلى راسهم والده، نجد نور الدين يسيرهم اليه ، ويصحبهم على الطريق في المناطق المخوفة حتى يبلغوا مامنهم ..

كل ذلك ولم تكن الخلافة الفاطمية قد سقطت . فما الذي كان يسكت نور الدين عن توقع الغدر من صلاح الدين برغم عودة امراء الجيش النوري ومفارقتهم مغاضبين لصلاح الدين ووشايتهم به ؟

لا نجد جوابا لذلك الا حرص صلاح الدين على مكاتبة سيده بما اعتاد منه من الفاظ الاكبار والتبجيل فكان يخاطبه في مراسلاته بمولانا دلالة على خضوعه نه ، والا هذه المواكب من الهدايا واللطائف والجواري والغلمان التي استولى عليها صلاح الدين من قصور الفاطميين في حياتهم اولا ، ثم بعد زوال دولتهم . ثم جده منذ توليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامور في اقامة المدارس العديدة لنشر المذهب السني في مصر ، وقد بدأ ذلك في اعقاب توليه الوزارة اذ حول دار المعونة من سجن الى مدرسة شافعية ، وبنى دار العدل مدرسة للشافعية ايضا ، وعزل قضاة الشيعة وولى قاضيا شافعيا اختار للاقاليم اتباع مذهبه . وقد كان نور الدين سنيا حنفيا غير متعصب . وكل ما يريده هو القضاء على الشيعة كمذهب مناقض ، ولذلك قبل من صلاح الدين نشر المذهب الشافعي ولعله ارتاح لذلك **ما دام يدفع بالتشيع الى الوراء ..**

ولا شك ان نور الدين كانت لديه الاسباب التي تجعله لا ينظر الى صلاح الدين نظرة تختلف عما اعتاده نحوه وامثاله ممن يكونون في خدمته .. فليس صلاح الدين الا تلميذا في مدرسة البطولة النورية ، وليس الا صنيعة لنور الدين ، وقد ابى نور الدين ان يمنحه شيئا من الخصوصية يشعره بانه على شيء من الخطر يستحق به اكثر مما يستحق سائر امراء النورية ، ولذلك ظل يكتب رسائله الى صلاح الدين بلا توقيع ، تعاليا وتعاظما، ويكتفي بوضع شارته ، ولم يخاطبه بصفته المتصرف في كل شيء ، وانما باعتباره امير قادة الجيش فكان يكتب .. الى : « الامير سفهسلار وكافة الامراء بالديار المصرية » . ولم يتردد في اظهار عدم ارتياحه لما نال من خيرات مصر وكنوزها ، واستقلال ما بعث به صلاح الدين .

الازمة :

كانت اخر جولات الشك والصراع الخفي بين صلاح الدين ونور الدين حين اوعز صلاح الدين الى العاضد — اخر خلفاء الفاطميين — ان يشكو الى نور الدين من القادة الاتراك ، لعله ان يسحبهم ، وبذلك يخلو الجيش من عنصر عنيد ينظر الى الاكراد — وصلاح الدين منهم — بانهم اقل مرتبة من الترك ، وقد فطن نور الدين الى اتجاه الحوادث ، فلم يسحب رجاله ، وانما مدحهم للعاضد وابقاهم وكظم غيظه عن صلاح الدين حتى يعلن سقوط الخلافة الفاطمية ، وقد راينا انه راوغ في ذلك ما وسعته المراوغة حتى تمكن من اقامة جيش قوى يستطيع ان يسانده في صراعه الذي لا يدري تماما كيف يكون . وكان صلاح الدين في سباق مع الوقت ، فزار الاسكندرية ، وبدأ يفكر في الاستيلاء على برقة طمعا في ثروتها ، وحتى يتمكن من بناء القلاع والحصون على مداخل مصر والقاهرة .

وما كادت الخلافة تسقط حتى دعاه نور الدين الى مشاركته في مهاجمة القلعتين الصليبيتين الكرك والشوبك، لما لهما من خطر السيطرة على الطريق بين مصر وانشام والحجاز . ولم يملك صلاح الدين الا الاجابة ، فاتجه اول الامر الى حصن الشوبك سنة ٥٦٧هـ . وضرب عليه الحصار ، وتحرك نور الدين اليه من دمشق ، وهنا اشار اصحاب صلاح الدين عليه بفك الحصار والرجوع الى مصر ، فلقاء نور الدين مؤكد الخطورة ، اذ يستطيع ان يقبض عليه ويجرده من قوته بسهولة ، كما ان القضاء على الشوبك والكرك يجعل الطريق مفتوحا امام نور الدين لدخول مصر واخراج صلاح الدين منها ، ومن المصلحة بقاء هذا الفاصل الصليبي . ويبدو ان صلاح الدين لم يجد مفرا من سماع هذه النصيحة ، فرجع ، وترك من يعتذر عن هذا الانسحاب بان مؤامرة شيعية كانت تدبر للاطاحة به في مصر ، فلم يقبل نور الدين عذره ، وظهر عليه العزم على دخول مصر .

قمة الازمة :

بدا كل من الرجلين يحذر الاخر من اعقاب هذا الانسحاب ، ويعمل بسرعة ليتوقى ضربة صاحبه .

اولا : نجد صلاح الدين يتحرك في اتجاهين :

١ — عقد مؤتمرا لقادة الجيش يقصد به استشارتهم وجس نبضهم .

٢ — بحث عن ملجا لال شاذى اذا هوجمت مصر من نور الدين .

ويقص علينا ابن الاثير قصة **هذا المؤتمر فيقول ان صلاح الدين جمع** اهل المشورة من اهله وامراء **الجيش النورية ، حيث اعلن فيهم عمر** ابن اخي **صلاح** الدين انه اذا **ما فكر نور الدين في المجيء الى مصر ، فانه يجب قتاله** . ولكن الشيخ **المجرب نجم الدين ايوب ، سفه كلام** الفتى ، وخاطب ابنه صلاح **الدين قائلا : « انا ابوك وهذا خالك** شهاب **الدين** ، ونحن اكثر محبة لك من جميع من ترى ، **والله لو** رايت **هكذا** ، فما ظنك بغيرنا ، **وكل من تراه عندك من الامراء لو راى** نور **الدين** وحده لم يتجاسروا **على الثبات على سروجهم ، وهذه** البلاد **له** ونحن **مماليكه** ونوابه **فيها ، فان اراد سمعنا واطعنا ،** والراى ان نكتب كتابا مع نجاب **تقول فيه بلغني انك تريد الحركة لاجل البلاد فاي حاجة الى هذا ؟ يرسل المولى نجابا يضع رقبتي منديلا وياخذني اليك وما ها هنا من يمتنع . وقام الامراء وغيرهم وتفرقوا على هذا . فلما خلا به ايوب قال له : « باي عقل فعلت هذا ؟ اما تعلم ان نور الدين اذا سمع عزمنا على منعه ومحاربته جعلنا اهم الوجوه اليه وحينئذ لا نقوى عليه ، واما الان اذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا ، والاقدار تعمل عملها . ووالله لو اراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلته انا عليها حتى امنعه او اقتل . ففعل صلاح الدين ما اشار به ، فترك نور الدين قصده واشتغل بغيره ، فكان الامر كما ظنه ايوب .**

اما الاتجاه الاخر فهو البحث عن ملجا لال شاذى اذا ما دهمت مصر ، وقد فكر في النوبة لكنه راى فقرها وعجزها عن ارضاء طموحه، ثم هي قريبة متصلة بسائر البلاد ويمكن الزحف عليها . وهنا تكلم الشاعر عمارة اليمني بلسان الحال بغريهم — او يغري شمس الدولة — باليمن لغرض في نفسه هو ابعاده عن اخيه ، فيكون في ذلك عون لمؤامرة شيعية جديدة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلم مذ كان محتاج الى العلم
وشفرة السيف تستغنى عن القلم
فاخلق لنفسك فلكا لا تضاف به
الى سواك واور النار في العلم

ثانيا : اما نور الدين فقد تظاهر بقبول عذر صلاح الدين ، ودعاه الى حصار جديد ، للمنطقة نفسها ، وقد اظهر صلاح الدين الموافقة ، واستخلف اباه على مصر ، وزحف الى الكرك ، وحاصر القلعة ،وتحرك نور الدين عن دمشق اليه ، وحين بقيت مرحلتان بين الرجلين اشتعلت الهواجس من جديد في نفس صلاح الدين ، وقد كان نور الدين قوى الشخصية عظيم المهابة في نفوس رجاله ، فلم يثق صلاح الدين في نفسه تجاه اللقاء ، وزين له اصحابه التراجع ، فتراجع من جديد ، وترك الفقيه عيسى الهكاري ليعتذر الى نور الدين حين يصل ، وحمله بالهدايا ، وقدم الفقيه الاعذار والهدايا ، اما الاعذار فهي ان نجم الدين مريض ، ويخشى صلاح الدين ان يموت في غيابه فتضطرب البلاد من بعده ، اما الهدايا فهي بعض ما اخذ من قصور الخلفاء الفاطميين مما هو اعظم بكثير مما يراه .. فكظم نور الدين غيظه وقال : « حفظ مصر اهم عندنا من غيرها » .

لم يبق الا الصدام :

كان العامان ٥٦٧هـ و٥٦٨هـ هما بداية النهاية بالنسبة للصراع بين صلاح الدين وسيده ، اذ في هذين العامين ذهب صلاح الدين الى قلاع الفرنج وحاصرها ، ثم تراجع دون ان يلقى نور الدين .. لم يبق الا ان يدخل نور الدين مصر على صلاح الدين ويخرجه وال شاذى منها ..

ولذلك ...

١ — ارسل الى الخليفة في السنة ذاتها يطلب منه تقليده ما بيده من البلاد المصرية والشام والجزيرة وغيرها ، وقد حقق له الخليفة ما اراد .

٢ — ثم كان التحرش بصلاح الدين واثارة غيظه في العام التالي بأن ارسل اليه « ابن القيسراني » لعمل حساب البلاد وكشف احوالها ، ومعرفة مدى ولائها لنور الدين . وقد عبر صلاح الدين عن غيظه بقوله : « الى هذا الحد وصلنا ؟ » واوشك ان يعلن عصيانه ، لكنه وجد ان تفادي الصدام ممكن ، فكظم غيظه ليفوت على نور الدين زحفه على مصر ، فسهل مهمة ابن القيسراني ، وامر بمعاونته ، وعمل الحساب وعرضه عليه .

لكن .. هل ثنى ذلك نور الدين عن التفكير في دخول مصر على صلاح الدين ؟ كلا .. فكما يقول ابو الفداء : « كان نور الدين قد شرع يتجهز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين ، وكان يريد ان يخلي ابن اخيه سيف الدين غازي بن مودود في الشام قبالة الافرنج، ويسير هو بنفسه الى مصر ، فاتاه امر الله الذي لا مرد له » فلا شك ان ابن القيسراني قد نقل الى سيده ملامح الاوضاع الجديدة في مصر، وكيف استولى الاكراد على الاقطاعيات والقصور ، وكيف مكن يوسف لنفسه في ارض مصر ، مما حمل نور الدين على التفكير الجدي في الزحف على مصر ، لكن اتاه امر الله الذي لا مرد له .

غاية المطاف :

لم ينته الصراع بين نور الدين وصلاح الدين بوفاة الاول واستقرار الثاني في مصر واطمئنانه الى مصيره فيها ، وفيما فتحه اخوه توران شاه من الحجاز واليمن . فهناك الصالح اسماعيل ابن نور الدين الطفل ، الذي يحتمي به اعداء الطموح الايوبي من بقايا امراء نور الدين ، وكان صلاح الدين يريد « جمع الكلمة » او جمع دولة نور الدين في يده ليقود النضال من مركز القوة ، المركز الموحد ، وقد كان . فقد اعانه على ذلك الصراع بين ابن المقدم ، وكمشتكن من امراء النورية ، وضياع الصالح اسماعيل بينهما ، وتفرق الكلمة بين دمشق وحلب .

وهنا خطب صلاح الدين للصالح اسماعيل في مصر ، واعلن حقه في تربيته ، وتقدم الى الشام فسيطر على دمشق وحمص وحماه وغيرها ، ولم يبق الا حلب ، فامتنع عليه الصالح اسماعيل ، وذكره بجحود النعمة ونبذ الطاعة لوالده .

وامام ظروف متغيرة تزوج صلاح الدين زوجة سيده وام الصالح اسماعيل ، وبموت هذا الاخير ، صارت حلب الى صلاح الدين بعد معارك عديدة مع الطامعين ، وحين جاء تقليد الخلافة للملك الناصر صلاح الدين ، نائبا للخليفة في مصر والشام والجزيرة انتهى الصراع بين صلاح الدين ونور الدين . .

١ — أبو الفداء	المختصر في اخبار البشر: المجلد الثاني
٢ — ابن الاثير	الكامل ج ٩
٣ — ابن العماد الحنبلي	شذرات الذهب في اخبار من ذهب
٤ — ابن شداد	النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية
٥ — دكتور احمد احمد بدوي	الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية .
٦ — جب — هاملتون	دراسات في حضارة السلام :ترجمة احسان عباس واخرين
٧ — الدكتور جمال الدين الشيال	مجموعة الوثائق الفاطمية : المجلد الاول
٨ — دكتور حسن ابراهيم حسن	تاريخ الدولة الفاطمية .
٩ — [illegible]	سيرة القاهرة : ترجمة حسن ابراهيم واخرين .
١٠ — دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور	١ — الناصر صلاح الدين: سلسلة اعلام العرب . ٢ — الحركة الصليبية ج — ٢
١١ — شحاته عيسى ابراهيم	القاهرة : سلسلة الالف كتاب
١٢ — دكتور عطيه مصطفى مشرفه	نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين
١٣ — الدكتور عبد اللطيف حمزة	صلاح الدين بطل حطين
١٤ — الدكتور عبد المنعم ماجد	١ — الناصر صلاح الدين الايوبي ٢ — نظم الفاطميين ورسومهم في مصر
١٥ — دكتور محمد سامي الدهان	الناصر صلاح الدين الايوبي : سلسلة اقرأ .
١٦ — المقريزي — تقي الدين احمد بن علي	كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج١
١٧ — دكتور نظير حسان سعداوي	١ — جيش مصر في ايام صلاح الدين ٢ — التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الايوبي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مُنى أُصعبت

شعر : احمد حسن الباقوري

★★ زار القاهرة في شهر ذي القعدة سنة ١٣٨٥ هـ مولانا الدكتور محمد برهان الدين صاحب ، سلطان طائفة البهرة الاسلامية في الهند ، ورأت جامعة الازهر ان تمنحه الدكتوراه الفخرية في العلوم الاسلامية تكريمـــا له ، واعترافا بفضل والده الراحل مولانا السلطان طاهر سيف الدين سلطان الطائفة ، وسعيا في الوقت ذاتـــه الى التقريب بين مختلف المذاهب الاسلامية .

وقد وجه السلطان دعوة الى المهندس أحمد عبده الشرباصي والى السيد احمد حسن الباقوري لزيارة طائفة البهرة في الهند ، والى المشاركة في الاحتفالات الطائفة بتنصيب سيدنا محمد برهان الدين بن سلطان عليهـــا .

وفي حفل من تلك الاحتفالات العديدة العظيمة القى السيد الاستاذ احمد حسن الباقوري القصيدة التالية ، وهي تفيض اخوة ومودة ورغبة في ان يتلاقى اهل المذاهب على اختلاف المنازع ، وأن ينصرفوا عن صراع بعضهم بعضا الى دفع الشبه التي يثيرها خصوم الاسلام حول الاسلام .

« البيـــان »

ما كنا نعلم ان فضيلة الشيخ احمد حسن الباقوري شاعر ينظم الشعر ، وبصورة جيدة ، لكن الذين درسوا مع فضيلته يعلمون ذلك ، وهذه القصيدة التي نقدمها الى القارىء العربي في هذا العدد من مجلة « البيان » خير دليل على اصالة الشعر فيه .

وقصيدة الشيخ الباقوري هذه ، رائعة في اسلوبها قوية في مبناها ، وفوق ذلك فهي سامية في معناها ، اذ أنها تدعو الى وحدة في العقيدة طالما تاقت اليها نفوس الكثيرين من الذين يؤمنون باللباب ، ولا يعيرون القشور اي انتباه ، والدين الاسلامي الحنيف ، دين يدعو الى التوحيد ، وينادي بالوحدة ، ينبذ التفرقة والخلاف ، (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) .

ثم بعد ذلك لا يضير قصيدة الشيخ الباقوزي ان لا ينظر اليها بعضهم نظرة التقدير والاعجاب ، لانها اتت تدعو الى وحدة العقيدة بين المسلمين والى الحق ، ولا تدعو الى مطمع شخصي ، ولا يضيرها ايضا ان لا تجد من بعضهم العناية والاهتمام اللذين تستحقهما ، سواء كان ذلك على مستوى النشر ، او على اي مستوى من المستويات ، ما دامت تمثل الدعوة السليمة ، وتستهدف ازالة التفرقة ، ونبذ الخلافات المذهبية ، وعدم الاهتمام بالسطحيات من الامور الفرعية التي املتهـــا ظروف سياسية طارئة بعيدة كل البعد عن لب الدين الاسلامي الحنيف ولا يضيرها اخيرا ان تجد العزوف من البعض ، لانها اشادت بمن دعا الى وضع حد للخلافات المذهبية بين المسلمين ، واطرت من نادى بالوحدة في القول وفي العمل ، ونبذ الدعوات المشبوهة ، واقامة العدالـــة الاجتماعية التي اول من نادى بها ، ودعا اليها ، وعمل على تطبيقها بين الناس هو الاسلام ، ولا نقول الاسلام في مختلف مذاهبه ، وانما نقول الاسلام ليس الا ، لان الاسلام لا يؤمن بالفرقة ، ولا يعترف بالخلافات ، وقد جاء الاسلام ليوحد ، لا ليفرق ، وجاء للبشر اجمعين ، ولم يجيء لاناس دون اناس .

ونحن حينما ننشر هذه القصيدة لقراء هذه المجلة، فانما نحيي فضيلة الشيخ الباقوري على هذه الروح المؤمنة النقية ، ونسجل اعجابنا واكبارنا بالرائد العظيم الذي عمل ولا زال يعمل على الدعوة الى لم شتات المسلمين والى ازالة الاسباب التي ادت الى تعدد المذاهب بينهم ، مما ادى الى استغلال هذه الفرقة من قبـــل الطامعين ، وذوي النيات السيئة .

ولا نشك مطلقا ان المسلمين المخلصين سيجدون في هذه القصيدة حافزا عميقا ، ودافعا قويا على السير قدما بهذه الدعوة الخيرة الى تقريب مختلف المذاهب بين المسلمين ، والى توحيدها والى ازالة كل بدعة من البدع، بحيث يصبحون يدا واحدة تدعو الى الخير والى الحق والى كل ما من شأنه رفع راية الاسلام .

عبدالله زكريا الانصاري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★★ كانت « البيان » قد نشرت هذه القصيدة في العدد الماضي ، ونظرا لسقوط المقدمة ولاخطاء قد حصلت سهوا ، تعيـــد « البيان » نشرها في هذا العدد ، مع تقديم كتبه الاستاذ عبدالله زكريا لهذه القصيدة .

منى اصعبت ثم استلان عنيدهـــا
وبات باطراف الثمـــام بعيدهـــا
تجلت كما لاحت لصديـــان واحـــة
تغنت روابيها وضاعت ورودهـــا
فهش لهـــا شمل صديع وأمـــة
على الود لا البغضاء قام عمودهـــا
وهتها الدواهي بالخـــلاف فبانت
وأمسى اخف المجد عبئـــا يئودهـــا
وليس لها الا الوفاق على الهـــدى
والا طريف يرتضيـــه تليدهـــا

★★★

رعى الله أنسالا لفاطمـــة الهـــدى
وبورك منهـــا كهلهـــا ووليدهـــا
تنادوا الى الحسنى وراحت ودودهم
ظمـــاء الى قبر الحسين ترودهـــا
وحول الشهيد الطهر اخصبت المنى
وقد رف واديها وأورق عودهـــا
هنـــاك تنـــاجى بالمودة اخـــوة
وغادر احنـــاء الصدور حقودهـــا
ورحنا جميعـــا في قلوب نقيـــة
مودات اخوان الصفـــاء تقودهـــا
هم الاهل مهمـــا شتت الدهر شملنا
وهم زينة الدنيا وهم بعد صيدهـــا

وما الازهر المعمور وهو خريـــدة
تفيض بهـــاء نظمهـــا وفريدهـــا
سوى نعمة من آل فاطمـــة الرضا
تابى على طول الزمان جحودهـــا
تولى العز الفـــاطمي قديمهـــا
تتيه بـــه مصر ويزدان جيدهـــا
و« ناصر » مصر اكرم الله سعيه
يضيء به في كل قطر جديدهـــا
رعاهـــا كريم البذل ما من بذلـــه
ولا انهـــل الا غامرا من يريدهـــا

★★★

جزى الله خيرا شيعـــة فاطميـــة
تحرى بهـــا الخير المرجى عميدهـــا
تلاقى عليهـــا كـــل حر وحرة
وصان تقاها غيدهـــا واسودهـــا
بقايـــا سيوف الغدر والغدر نزوة
تسود لياتي اثرها من يسودهـــا
حللنـــا بهم ثم ارتجلنـــا وبيننا
مواثيق ود لا تخيس عهودهـــا
مواثيق من حكم النبوة حكمهـــا
ومن عبرة الايـــام صيغت قيودها
تجمعنـــا من كـــل شرق ومغرب
كما جمعت حبـــات در عقودهـــا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأي الاسلام في مشاكل الساعة

بغيتنا لا نجدها أبداً إلا في مصادرنا الاسلامية

علينا فهم جوهر الاسلام قبل كل شيء

الشريعة الاسلامية ليست عقيدة فحسب .. بل هي

عقيدة وشريعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقاؤنا اليوم تحت ظلال الاسلام مع رجل عاش مع منابع الاسلام الاصيلة ويحث عليها بل انه نص في كتابه عن العبادات بعبارة تلفت النظر حين قال « العبادات من القرآن والسنة » فهذه العبارة تدل على مدى اصراره على العودة الى الاصول لنستنبط منها الاحكام ففيها الغناء كل الغناء عما عداها .. هذا الفهم الاصيل لجوهر الاسلام الذي جعل الاتصال بمصادر الشريعة الاسلامية امر مطلوب دون الرجوع لاي رأي الا اذا كان عن اقتناع وفهم بجوهر ومصدر هذا الرأي من الشريعة الاسلامية ذاتها . ان هذه القضية اراها اهم ما يمكن مناقشته في هذا العصر حيث حاجتنا تزداد الى رأي الاسلام في الابواب الجديدة التي فتحت ولن تكون بغيتنا الا في اصول الاسلام ، لهذا فلقاؤنا اليوم مع الدكتور احمد الغندور الذي جعل «من القرآن والسنة» عنوانا لكتابه ليصرف عما عدا هذين المصدرين ..

● **هنـــاك خلط يغشى الاذهان حول الفقـــه والشريعـــة والفرق بينهما ، فهل لك ان توضح لنا هذهالنقطة؟**

— الشريعة الاسلامية هي المبادىء العامة ، والقواعد الكلية والاحكام التي تضمنها كتاب الله وسنة رسوله ، او هي ما انزله الله لعباده من الاحكام على لسان سيدنا محمد سواء اكان بالقرآن ام بسنة رسول الله من قول او فعـــل او تقرير ، ليخرج الناس من دياجير الظلام . ويهديهم الى صراط مستقيم.

وهذه الاحكام منها مـــا يتعلق بالعقائد الاساسية للاسلام ، التي نؤمن بهـــا ايمانا لا يرقى اليه الشك ، ولا يزعزعـــه الضعف ، كالايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسلـــه ، واليوم الاخر ، والقدر خيره وشره.

ومنها الاحكام التي تتعلق بتربية النفس وتهذيبهـــا ، وتكميلها ، كالاحكام الهادفة التي تدعو الـــى التحصن بالفضائل ، كالصدق والوفاء والامانـــة ، وكالاحكام التي تنهى عن الرذائل ، كالكذب والخيانة .

ومنها الاحكام التي تتعلق بتنظيم الروابط الانسانية ، وبيان احكام الصلات بـــين الانسان وربـــه ، وهي العبادات ، وبيان الصلات التي بين الانسان واخيـــه الانسان وما يدور بين الناس من اعمـــال ومعاملات ، كتبادل المحبـــة والتناصر ، واحكام الزواج والطـــلاق والميراث .



وهذه الاحكام كلهاموجودة في القرآن الكريم ، وتناولتها السنة النبويـــة بالايضاح والتفصيل .

فمن الاحكام العـــامة في الشريعة — مثلا — نظرية اليسر ورفـــــع الحرج ، والتيسير على المسلمـــين « يريـــد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وقد جاءت شريعةالاسلام كاملة ، تحكم على كل حالة، شاملـــة لامور الافراد والجماعات والامم ، وقـــد صيغت نصوصهـــا بحيث لا يؤثر عليهـــا مرور الزمن بتغيير قواعدها الكليـــة ، لانها من المرونة واليسر ، والعموم بحيث تفي بكـــل حاجياتنا . لذا كانتالشريعة الاسلامية غير قابلة للتغيير والتبديل . انها شريعـــة الزمن حتى يرث الله الارض ومن عليها .

اما الفقه الاسلامي فهو الاحكام التي استنبطهـــا الفقهاء المسلمون من كتاب الله وسنـــــة رسوله . واجتهادهم بالـــراي سواء أكان جماعيا ام فرديـــا ، متـــأثرين في استنباطهم باسباب كثـــيرة ادت الى اختلاف في الراي ، كاختلاف الفقهاء في العقول والبيئات، واختلافهم في اللغويـــات ، ووقوف بعضهم على احاديث لم يقف عليهـــا الاخرون ، واختلافهم في الترجيح عنـــد التعارض ، وكالحـــالات النفسية لكل فقيه ،والتعصب

اعد المقابلة
سليمان الشطى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المذهبي في بعض الاحيان .

كل ذلك وغيره ادى الى خروج بعض الاحكام عن القواعد الكلية التي وضعتها الشريعة الاسلامية ، مما حدا بالبعض ان يرميها بالجمود والتأخر . وهي بريئة من كل ما ينسب اليها، والكتاب في ذلك جد مخطئين.

● **على هذا الاساس علينا ان نحدد مصادر الشريعة الاسلامية .**

— مصادر الشريعة الاسلامية معروفة ومشهورة هي القرآن الكريم والسنة النبوية ، والاجتهاد بالراي الجماعي او الفردي ، فقد روى معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن قال له : « كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ » قال : اقضي بما في كتاب الله ، قال : « فان لم يكن في كتاب الله » قال : فبسنة رسول الله ، قال : « فان لم يكن في سنة رسول الله » قال : اجتهد رايي ، لا ألو ، اي لا اقصر ، قال معاذ : فضرب رسول الله صدري ، ثم قال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله»

وروى البغوى عن ميمون بن مهران انه قال : كان ابو بكر اذا ورد عليه حكم نظر في سنة رسول الله فان وجد فيها ما يقضي به قضى به ، وان أعياه ان يجد في سنة رسول الله جمع رؤساء القوم فاستشارهم، فاذا أجمع رأيهم على شيء قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك . فاجتماع اهل الرأي للتشاور في حكم مسألة لم ترد في الكتاب او السنة نوع من انواع الاجتهاد الجماعي واتباع راي الجماعة مقدم على راي الفرد .

وروى سعيد بن المسيب عن سيدنا علي انه قال : « قلت : يا رسول الله ،الامر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ، ولم تمض فيه منك سنة ؟.. قال : اجمعوا له العالمين — او قال : العابدين — من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد » .

● **هذا يجرنا للحديث عن التشريع الموضعي ؟**

— تحدثت عن الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامي والفرق بينهما ، والمصادر التي تستنبط منها الاحكام ، يحسن بنا ان نعرف شيئا عن التشريع الوضعي وهل ينفي عن التشريع السماوي؟

فالتشريع الوضعي : هو القانون الذي تختاره اية امة لتسير على نهجه ، في تنظيم شؤون افرادها والعمل على استقرار امنها وسلامتها . ونحن نعلم جميعا ان هذا القانون من صنع البشر والانسان مهما بلغت مداركه ، واتسعت ثقافته محدود الفكر ، يخطىء ويصيب ، يهتم بما يجب على المرء نحو الناس ، بخلاف التشريع الاسلامي السماوي الذي يدعو الى طهارة القلب ويقظة الضمير ، وتزكية النفس ، وهو من عند الله ، والله عليم خبير ، بكل ما دق والتشريع الاسلامي واف بحاجات الناس لا يتغير في حين ان القوانين الوضعية ناقصة دائما وفي حاجة الى تغيير وتبديل ، لتتلاءم مع الظروف الجديدة ،والاحداث الجارية ، اما الشريعة الاسلامية فهي اسمى من كل شيء ، واقرب الى طبائع البشرية ، وادعى للامن والاستقرار والحرية . لم تدع في الانسان عوجا الا قومته، ولا في نظام الجماعات ثغرة الا احكمتها وان الذي يسير في هديها يكون في مأمن من الزلل والضلال ، وانها تتسع لشؤون الافراد والجماعات في كل زمان ومكان ما عمرت بهم الدنيا.

واما الذين يظنون ان شريعتنا لا تتفق مع عصرنا لما فيها من جمود وتقصير فهم واهمون وحاقدون عليها وجاهلون لفهم اسرارها ودقائقها وحكمها .

● **الشريعة الاسلامية شريعة خالدة باقية ، ما سر هذا الخلود والبقاء ؟**

— اذا كانت رسالة الاسلام ليست بعدها رسالة الهية اخرى ، وان سيدنا محمدا صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء والمرسلين وانه مرسل للناس اجمعين واذا كانت شريعة الاسلام صالحة لكل زمان ومكان ، كان من الواجب ان تكون قد قامت على اسس متينة جعلتها صالحة للناس اجمعين ، وحقا كان الامر كذلك . فقد راعى القرآن الكريم والسنة النبوية امورا كانت السر في بقائها وخلودها اكتفي منها بالاتي :

اولا : رفع الحرج والتيسير على المسلمين لقوله تعالى: « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج .. » وقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وفي الحديث : « بعثت بالحنيفة السمحة » وقال الرسول : « ان هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه » .

لذا أباحت لنا الشريعة الاسلامية قصر الصلاة في السفر والفطر للصائم اذا كان مريضا او على سفر ، واباحت التيمم بدلا عن الوضوء والغسل لمن لم يجد الماء ، او وجد في استعماله ضررا .

وان الاسلام لم يفرض علينا الصوم الا شهرا واحدا في العام ولم يفرض الزكاة الا على القادر الذي يفيض ماله عن حاجته وحاجة من يعولهم . وجعل مقدارها العشر او نصف العشر او ربع العشر .

وفرض الحج على من استطاع اليه سبيلا .

ثانيا : قلة التكاليف ، ليس في شريعة الاسلام من الاوامر والنواهي ما يثقل به كواهل المسلمين ، وان وجدت مشقة في بعض الاحيان فيسيرة ومحتملة وان الشريعة سلكت طريقا وسطا لا ارهاق فيه ولا اعنات .

وقال الرسول : « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تتعدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن اشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ، لان في كثرة التكاليف احراجا للمسلمين.

ثالثا : التدرج في التشريع الاسلامي ، فقد انتظمت حكمة الشارع ان يتدرج بالعرب في نهيهم عن عاداتهم الضارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور الفندور

- ولد في الزقازيق — مديرية الشرقية — ج.ع.م عام ١٩١٩
- درس كل المراحل في الجامعة الازهرية .. وتخرج في كلية الشريعة الاسلامية عام ١٩٤٥
- حصل على العالمية مع اجازة التدريس عام ١٩٤٧
- عين مدرسا في السودان
- اعير محاضرا للشريعة في جامعة الخرطوم عام ١٩٥٠.
- تقلب في مناصب عدة ثم اصبح رئيسا لقسم الشريعة بكلية الحقوق بالخرطوم .
- حصل على الدكتوراه عام ١٩٦١
- انتدب للتدريس بكلية الحقوق بجامعة القاهرة .. وبعدها في كلية دار العلوم .. جامعة القاهرة .
- الجديد في حياة الدكتور الفندور .. انه كان لاعبا قديرا في كرة القدم .. وكان رئيسا لحكام كرة القدم في الخرطوم .

التي استحكمت عندهم ، ولا يمكن تحويلهم عنها دفعة واحدة ، لهذا وردت التكاليف بالنهي عنها شيئا فشيئا حتى لا ينفروا منها ، فقد سئل الرسول عن الخمر والميسر فاجابهم بما نزل عليه من القرآن:

« يسألونك عن الخمر والميسر ، قل : فيهما اثم كبير . ومنافع للناس ، واثمهما اكبر من نفعهما » ولم يطلب اليهم الكف عنها في بادىء الامر ، وان كان فهم من روح النص النهي عنها ، ثم تدرج في نهيهم عن الصلاة وهم سكارى ، فقال: « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ثم صرح بالنهي عنها في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » .

رابعا : المثاليةوالديمقراطية في الشريعة الاسلامية ،التي تتجلى في الايثار ، والشورى والعدالة والاخاء ، والمساواة ، وشتى الفضائل الانسانية ، والشعور بالمسؤولية والدعوة الى العمل ، وترك التكاسل والتواكل ..

خامسا : الحيوية فيالشريعة الاسلامية ، وتوفر العناصر الحضارية — التي منشأنها ان تعمل من اجل رقي الفرد والمجتمع ، وتنشر القيم الروحية ، لاسعاد البشرية.

كل ذلك وغيره مما لا يتسع له المقام ، كان السر في صلاحية الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان.

- **يذكر دائما ان الدين الاسلامي هو اكثر الاديان قربا والتصاقا بالحياة ، فما سند هذا القول ؟**

— الشريعة الاسلامية ليست عقيدة فحسب ، بل هي عقيدة وشريعة ، ايمان وعمل ، دين ودنيا ، مسجد ودولة ، عبادة وقيادة ، تعمير وانشاء ، انظروا كيف نظمت العلاقة بين العبد وربه ، فصححت عقيدته ونقتها من الخرافات والاوهام وجعلته اهلا لمناجاة ربه بدون وساطة ولا شفاعة ، ثم نظمت العلاقات بين الافراد والجماعاتكما نظمت شؤون الحكم ، والادارة ، ونظمت علاقة الدولة بغيرها في اوقات السلم والحرب .

وشريعة الاسلام حين تعرضت لهذه النظم نصت على القواعد الكلية والاسس الثابتة ، اما التفصيلات فتركتها لتكون كل امة في سعة من ان تراعي مصالحها الخاصة وما تقتضيه احوالها .

فهذا كتاب الله اساس الشريعة الاسلامية حين تعرض لنظام الحكم لم يفصل شكل الحكومة ، ولا كيفية اختيارها وانما نص على الدعائم الثابتة التي ينبغي ان تعتمد عليها نظم كل حكومة عادلة ، فقرر العدل والشورى والمساواة في قوله تعالى : « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » وقوله تعالى « وشاورهم في الامر » وقوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » .

اما ما عدا هذا من النظم التفصيلية فقد سكت عنها القرآن . ليتسع لولاة الامر ان يشكلوا حكومتهم بما يلائم حالهم ، ويتفق مع مصالحهم غير متجاوزين حدود العدل والشورى والمساواة .

وحين تعرضت الشريعة الاسلامية للجنايات التي تقع من الافراد لم تحدد عقوبات مقدرة الا لخمس فئات : وهم : الذين يحاربون الله ورسوله ، والذين يقتلون النفس بغير حق ، والزاني والزانية والسارق والسارقة .

اما سائر الجرائم الاخرى فقد تركت لولي الامر ان يقدر عقوبتها بما يتفق وصيانة الامن واستقراره .

وفي قانون المعاملات المالية اكتفت الشريعة الاسلامية بالنص على اباحة ما يقتضيه تبادل الحاجات ودفع الضرورات فاحل الله البيع وحرم الربا . واحل الاجارة والرهن واشار الى الاساس الذي ينبغي ان تبنى عليه تلك المبادلات وهو التراضي .

وفي قانون الميراث نرى تنظيما عادلا دقيقا فلم تدعه الشريعة الاسلامية نظمته لاهواء الناس كما كانوا يفعلون ، وكما كانوا سائرين على ضروب من الظلم لا تقرها الانسانية ، ولا ترتضيها الرحمة والعدالة ،



ذلك ان العرب كانوا لا يورثون الطفل والمراة ، لان سبب الارث عندهم القدرة على حمل السيف وحماية العشيرة ، والذود عن القبيلة ومقاتلة العدو ، فقضى الاسلام على هذا الظلم ، وجعل لهذين الضعيفين حقا مقررا في الميراث ، وحدد سهام كل وارث بما يلائم المصلحة والفطرة الانسانية ومحا الظلم الذي كان لاحقا بالمراة واعلى قدرها ، وجعل لها الحق في الميراث ، بل اكد هذا الحق ، وجعله كأنه اصل في التشريع ، وقاعدة مسلمة في الميراث ، يدل على ذلك قوله تعالى : « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين .. » وجعل نصيبها في الميراث على النصف من الرجل ، لملاءمة وظيفة كل منهما في الحياة ، لان الرجل خلق للكفاح والسعي ، ورعاية الاسرة ، والاسلام قد سوى بين الرجل والمراة في بعض الحالات التي اقتضت ذلك كما في اولاد الام . وكما قد سوى بين الاب والام اذا كان للمتوفى ولد ذكر ، لقوله تعالى : « ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد .. »

● **الاسرة نواة المجتمع ، يهتم بها ويحاول ان يحل مشاكلها ، فما هي نظرة الاسلام لها؟**

— كان مما استهدفته الشريعة الاسلامية مصلحة الاسرة التي هي اساس ذلك المجتمع الانساني الكبير ، والنواة التي تتكون منها الامم والشعوب ، فعنيت بها اشد العناية ، واقامتها على اسس قوية من المحبة والمودة ، ودعت الى الزواج ورغبت فيه في كثير من آى الذكر الحكيم ، وحرصت على دوام الصلة بين الزوجين فشرعت شرعة الحكمين عندما ينجم الخلاف ، ويخشى ان يحل الشقاق والخصام محل الوفاق والوئام ، ورغم هذا السياج المتين قد تتنافر القلوب ، وتستحكم النفرة بين الزوجين بما يؤدي الى انهيار الاسرة ، فكان لا بد من علاج لها . لهذا شرعت الطلاق دواء لهذا الداء ووضعت له احكاما تخصه ، كما ازالت الظلم عن المراة فقيدت التعدد واباحته بشرط الضرورة والعدل ، وجعلت للطلاق حدا ينتهي عنده .

وعلى الاجمال لم تترك الشريعة الاسلامية الزوجة كما كانت من قبل مجرد متاع للرجل ، واداة مسخرة له ، بل جعلتها عضوا عاملا في المجتمع وراعيا مسؤولا ، والمراة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها .

● **للامة الاسلامية علاقات خارجية مع كثير من الامم فكيف نظم الاسلام هذه العلاقة؟**

— في السياسة الخارجية: اجملت الشريعة علاقة المسلمين بغيرهم في قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون»

● **ما الحكمة من حرص القرآن على جعله الاحكام عمومية ؟**

— كان من حكمة الله ان يشرع للناس احكاما مطلقة عن البيان والتفصيل ، يمكن تفصيلها وتطبيقها مهما اختلفت الظروف وتبدلت الاحوال . فهذا الذي يظن انه نقص هو غاية العظمة في التشريع ، وغاية الكمال في التقنين ، وبجانب هذه العظمة ارشدت الشريعة الاسلامية الى ان الغاية منها تحقيق مصالح الناس ، ورفع الضرر عنهم ، واقامة العدل ومنع العدوان ، كما تشير الى ذلك النصوص الكثيرة ، حتى في العبادات نفسها قرن التكليف بها بما يدل على ان المقصود منها اصلاح حال الناس ، فقد قال تعالى : « ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر » وقال في الصيام : « لعلكم تتقون» وفي الزكاة قال عز شأنه : « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها .. » وفي الحج قال : « ليشهدوا منافع لهم .. » .

ولقد امتازت شريعة الاسلام بأنها لم تدع امرا من امور الدنيا الا اتت بحكمة ، واتخذت من الدين والاخلاق وسيلة لضبط شؤون الدولة ، كما انها كفلت حقوق الافراد ، واعترفت بحقهم في الحريات ، ذلك ان الاسلام حد حدودا بأوامره ونواهيه ، وشرع لتعدي هذه الحدود عقوبات بعضها مقدرة منصوص عليها وهي الحدود ، وبعضها موكول الى تقدير ولاة الامر ، كما جاء في القرآن « ولا عدوان الا على الظالمين » وجميع ما في القرآن الكريم والسنة النبوية من النهي عن الظلم والايذاء للمسلمين والذميين يؤيد حرية ذات الانسان وامانة من اذى الغير .

وفي القرآن الكريم تقرير حرية السكن ، حيث قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم » ، كما ايدت شريعة الاسلام حرية الملكية ، وكفلتها باحكام وجعلت الاساس في المبادلات التراضي ، ونبهت عن التعدي على مال الغير ، واخذه من مالكه بغير حق ، لقوله تعالى : « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام ، لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » . ومما يؤيد حق الملكية قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه لمن كان يغبن في المبادلات « اذا بايعت فقل لا خلابة ولي الخيار ثلاثة ايام » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحترمت الشريعة حرية الاعتقاد ، وفي كثير من آي الذكر الحكيم دعوة الى النظر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ودعوة الى تقي الايمان الذي يجيء عن طريق الاكراه ، لقوله تعالى : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ... افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » واقرت الشريعة حماية اقامة الشعائر ، حتى لغير المسلمين ان يقيموا شعائر دينهم في كنائسهم ومعابدهم ، وجميع العهود التي كانت تعطى للمعاهدين كانت تقرن بالتأمين على الانفس والاموال والعقائد واقامة الشعائر .

واقرت الشريعة حرية الرأي فان كان الامر غير ديني فلكل فرد ان يبدي رأيه حسبما يرى ، ويعرب عنه بالوسيلة التي يراها في حدود عدم الحاق الضرر بالافراد او الامة ، وان كان الامر دينيا فلكل واحد ان يجتهد ان كان أهلا للاجتهاد — ويرى الراي الذي يوصله اليه اجتهاده ما دام اجتهاده في غير موضع النص ورأيه في حدود اصول الدين الكلية ونصوصه الصحيحة.

اخيرا — ونحن نشكر الدكتور الفندور على هذا اللقاء — لا يسعنا الا ان نقول ما احوجنا الى رجال مثله يفهمون روح الاسلام السمحة لينقلوها الى تلك الافئدة المتعطشة .

اللجنة الشعبية للتبرعات برئاسة سعادة الشيخ صباح الأحمد وعضوية

عبد العزيز حمد الصقر
حمود الزيد الخالد
محمد النصف
يوسف الفليج
يوسف الحميضي
محمد عبد المحسن الخرافي
بدر الملا
عبد العزيز الشايع
جاسم عبد العزيز القطامي
مرزوق العبد الوهاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ندعو المواطنين الكرام لمشاركتها في حملة التبرع من أجل القوات العربية البطلة وليعبروا عن مشاعرهذا الشعب الذي يقدر التضحيات البطولية التي يقدمها الجنود البواسل على خط النار .
أيها المواطن سارع للمشاركة في هذه الحملة الكريمة

ادباء الكويت في

ان العالم العربي المثقف في حاجةاكيدة الى كتاب يرسم له صورة واضحة عن الادب الكويتي . يبين خصائص هذا الادب ويؤرخ نشأته واطواره ويترجم ترجمة متزنةومنطقية ودسمة لرجاله ، ويذيل الترجمة بالمصادر حتى ينتفع منهاطالب الاستزادة . ثم يورد نصوصا مختارة لكل اديب من الادباء نستطيعان نتلمس منها نظامه الانشائي والعروضي واسلوبه الفني وطريقتهفي اختيار المواضيع وخطته فيمعالجتها ومصادر استلهامه .

فهذا الكتاب المنتظر بشوق كامنيةحلوة في النفس ، وخيال طارق في الذهن وشبح يتراءى عن بعد وحلمنحلم به آناء الليل واطراف النهار .. هذا الكتاب قد جاء ، فصار حقيقةواقعية مجسدة ملموسة .

بل هو كان اكثر مما كنا ننتظر :يتجاوز متمنياتنا ويفوت ما كان في مخيلتنا من صورة ذهنية له . ذلكهو الكتاب الذي اصدره الشاعر والمؤرخ والاديب والبحاثة المدققالسيد خالد سعود الزيد .

بقلم
عثمان
الكعاك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قرنين

أ ــ الكتاب :

يشتمل الكتاب على ثلاثة اجزاء من قطع الثمن . صدر الجزء الاول منها حديثا من ٢٥٣ صفحة ، على ورق صقيل وبحروف نقية وطباعة انيقة .

عنوان الكتاب : « ادباء الكويت في قرنين » ويحتوي الجزء الاول على عشرين منهم من مواليد عام ١٧٧٦ حتى مواليد عام ١٩٠٦ .

فالاول من هذا الجزء هو عبد الجليل الطباطبائي المولود سنة ١٧٧٦ ، والاخير من ادباء الجزء الاول هو « داود الجراح » من مواليد ١٩٠٦ .

يحتوي الكتاب على :

١ ــ اهداء : وهو الى روح والده المرحوم الذي ادبه وعلمه ودفعه الى وضع هذا الكتاب . ويستشعر القارىء من هذا الاهداء روح الوفاء وبر البنوة والمحافظة على الوصية والامانة العلمية .

فهذه الصفات التي نستنتجها من الاهداء تجعلنا نكبر المؤلف ونطمئن على ما سنطالعه في آتي الصحف كاننا نتمشى مع المؤلف في ممشى بستان نير عطر مستقيم زاهر لموع .

٢ ــ المقدمة : وهي في صفحة واحدة قال طالعها : « لست في هذا الكتاب دارسا ، ولا باحثا ،ولاواضعا حديثا لم يعرفه الناس من قبلي في الكويت ، غير انهم تقاعسوافتقدمت، وتأخروا فاقدمت .

طيب جدا يا سيدي ونعم التقدم والاقدام .

وكأن مؤلفنا ليس له خبر بيضة خريستوف كولومب مكتشف اميركا . فقد كان مرة في مأدبة عشاء اقيمت احتفاء به وكان حاسدوه كثيرين ، فقال احدهم : « اكتشاف اميركا ليس من المعجزات بل هو بسيط الامر . فحسب الانسان ان يتوجه في المحيط نحو الغرب فيجد اميركا . وهذا ميسور لاي كان » .

وفي نفس الحين تقدم الخادم بالبيض في الصحون . فقال كولومب: من منكم يستطيع ان يوقف البيضة على طرفها الحاد ! »

فجرب كل واحد ولم يوفق . فاخذ صاحبنا البيضة التي في صحنه ودق طرفها قليلا فاستقامت متوازنة .

فقال الحسود : « هذا بسيط ! »

فاجابه : بسيط نعم ، ولكنينبغي ان يخطر ببالك وان تقدم عليه .

ومع كل ذلك فشتان بين وضع كتاب وايقاف بيضة .

٣ ــ تاريخ الحركة الفكرية في الكويت :

العنوان في ذاته مغر وشيقومبشر بكل خير .

وفعلا فقد انتهج المؤلف الفاضل في هذه الدراسة منهاجا علميا ،عالجه معالجة الباحثين الحذاق ، وبسطه بسطا ، واضحا متسلسلا اخذابعضه باعجاز بعض . يمتاز بالاسلوب الجلي والعبارة الواضحة والمعنى الدقيق والمعلومات المتوفرة . فلم يكتب المؤلف « حول الموضوع »ولكن في صميم الموضوع ولا حاد عنه قيد انملة .

اعتنى اولا باطار الحركة الفكرية، اي تعيين المراحل البينة الواضحة الملامح التي مر بها .

فقسمها الى اربع مراحل .

ثم هو اعطانا خصائص كل مرحلة وابان تقاطيعها وحدد الاطار المحيط بها . فنحن نمشي معه في طريق منيرة واضحة المسالك ، بينة المعالم، قائمة الصدى نخرج منها وكاننا عشنا قرنين من الادب الكويتي وكاننا مررنا فعلا بعامة الاجيال الادبية التي نشأت فيها .

٤ ــ ينتقل المؤلف بعد هذا الى دراسة الشعراء انفسهم . فيذكر الاسم واللقب بحروف عريضةويجعل تحتها تاريخي الولادة والوفاة بالحسابين الهجري والميلادي . فانت بعد عندك صورة من الشاعر تضبطه بالشخص والمكان والزمان . ثم يتبسط في تاريخ حياته ويورد تفاصيل ضرورية عن ترجمته بدون اسفاف ولا املال . ثم يحلل نفسيته وشاعريته تحليلا دقيقا علميا مركزيا منهاجيا مستشهدا بنماذج من شعره ثم يذكر نماذج صالحة من شعره ويورد ثبتا بتآليفه . ويختم بقائمة المصادر التي درسته ، وهكذا ينتقل من شاعر الى شاعر الى ان ينتهي من الشاعر المكمل للعشرين .

٥ ــ لا يقنع المؤلف الفاضل بما اورده من مصادر عن كل شاعر بحسبه حتى اورد لنا في ختام كتابه « مراجع الجزء الاول »وهي الدواوين الشعرية والكتب والمجلات والجرائد والمخطوطات فكانه اراد بعد التحليل تجميعا وبعد التجزئة جملة وكلا ، فهو مثال لطريقة البحث العربية المثلى التي تبدا بالتحليل وتنتهي الى التجميع . اي تحلل الكل الى اجزاء وتجمع الاجزاء الى كل اوضحواجلى يجعل الالمام به في الفكر . فبعد ان فكك ركب ، وبعد ان فصل اجمل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـاهي رسـالـة الـروايـة الحـديثـة

بقلم : سعيد فرحات

وراء هذا السؤال ، تنتظم علـى خط طويل علامات استفهام كبـيرة، تحجب خلفها وجهات نظر مختلفة ، وربما كانت على فارق بعيد فيمـا بينها .

فالذين ينظـرون الى « بلزاك » الروائي الفرنسي الكبير ، يؤمنـون معه بان « الرواية هي صورة صادقة لقطعة في الحياة الانسانية » . فهذه النظرة هي نظرة الكتاب الواقعيين ، واصحاب الميول الطبيعيـة في الادب الاوروبي الذي ساد منذ حوالي قرن من الزمن ، وتأثرت به الروايةالعربية بظهور نزعتها الواقعية ، التي بدأت تفجر في طياتها خليـة امينة مليئـة بالحساسية تحرك حياة جديدة فـي الضمير الوطني والقومي ، كما بدت في بعض اعمال توفيق الحكيم الادبية وقبله عيسى عبيد ثم نجيـب محفوظ على سبيل المثال لا الحصر .

فتأثر الرواية العربية او الروائي العربي بالرواية الاوروبية تـرك في نفسه قضيـة هامـة وفرت له اي « الرواية » مادة معالجتها بالخامـة التاريخية المعاصرة على الرغم مـن ذلك العلاج المتأخـر علـى طبيعـة الاحداث المعنية ، فجاءت الاعمـال الفنية غنية بعناصر روائيـة تحمـل بذور الواقع المعاش في طياتها لتعرضه امام القارىء ، تاركة له حريةالانتفاع او التسليـة كشيء مـن شئونـه الشخصية .

واخرون يرون غير ذلـك ، « فجرجي زيدان » الروائي التأريخي يقول ما معناه في تقديم احدى رواياته « ان نشـر التأريـخ على اسلـوب الرواية افضل وسيلة لترغيب الناس في القراءة بشغف ، لاننا نتوخى مـن وراء عملنا ان يكون التأريخ حاكماعلى الرواية ، بدلا من ان تحكم هي عليه.

فزيدان من الروائيين الاوائل فـي هذا النهج ، وكرم ملحم كرم — على سبيل المثال — من رواد هذا النهـج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في النصف الاول من القرن العشرين، غير ان هذا النهج اول ما يرمي اليه هو احياء العصر التاريخي لاظهار التاريخ العربي ومزايا سادت في عصور غابرة ، بالاضافة الى بعض الشخصيات التأريخية ، الهامشية احيانا التي يراد فيها ، وسيلة لاظهار ذلك التأريخ في خلال تحريك ابطال الرواية في الاتجاه الذي يخدم معالم ذلك التأريخ ايضا .

وهناك مناهج اخرى كثيرة ،فالذي يعنينا في المسألة الاجابة على سؤال اي المناهج تسود الرواية العربية بصورة خاصة في يومنا الحاضر ؟ مما لا ريب فيه ان الفن القصصي والروائي قد تدرج وتطور منذ نشأته الاوروبية، وكذلك العربية واجتاز مراحل كثيرة رافقتها اتجاهات عديدة اختلفت باختلاف روح العصر ، واحداث التاريخ الجديدة والمفاهيم الانسانية في كل مجتمع ،والطبقات واستجاباتها لما يقدم لها من ادب وافق طبيعة حياتها وميولها الفكرية وعاداتها الاجتماعية . من هنا يبدو ان الرواية كانت وما تزال خاضعة لرياح خارجية على المناخ الشخصي للاديب ، تتجاذبه دونما اشارة للفصل في الموقف من اي مصدر . مما يجعله يعيش انتاجه الشخصي في عمله الادبي العام تارة في الواقعية والرمزية معا وطورا في الرومانتيكية التي انتهى زمانها منذ وقت بعيد ومرة اخرى في الصوفية العازلة ، او الوجودية او الثورية الناقدة .

فمثلا لو ذكرنا رواية « زينب » لمحمد حسين هيكل التي تترجم حاليا الى الاسبانية، فانها تميل في قضيتها المطروحة الى الرومانتيكية . و«عودة الروح » لتوفيق الحكيم فيها مما قيل في « زينب » بالاضافة الى مظاهر الواقعية في آن واحد . وهناك رومانتيكية « احلام شهرزاد »للدكتور طه حسين .

ولو اردنا الاسهاب والاكثار من الامثلة على اختلاط المناهج الروائية في عمل الروائي الواحد ،والازدواجية في المنهج كما في « عودة الروح » لاحتاج ذلك صفحات عديدة ، ان البحث في هذا المجال يسير على سبيل الاشارة لاجتياز الطريق الى ارض المسألة ذاتها . اي المناهج تسود الرواية العربية في يومنا الحاضر ، وذلك لبلوغ الهدف الاول في الموضوع:

ما هي رسالة الرواية الحديثة والى اين تسير ؟

اذا اسلمنا جدلا بان الرواية العربية تأثرت الى حد بعيد بالرواية الاوروبية — وهذا ما لا يجوز الشك فيه — حيث قيل ان ما ترجم في القرن التاسع عشر واوائل القرن الحاضر ، ما يقرب على عشرة الاف قصة اوروبية واجنبية الى العربية . فان ما لا شك فيه ان كتاب الرواية العربية اتخذوا نفس المناهج الاوروبية وخطوطها الشكلية وعملوا على اخذ الخامة الصرفة من واقع مجتمعهم الوطني والقومي في ظروفه الكائنة واحسنوا نقل حياة الانسان في بيئته ومشاكله الموروثة العارفة احيانا في السلبية ،وذلك بقصد الانتاج الايجابي بالنسبة لتأثير الرواية على نفس هذا الانسان . ولكن ظلت السلبية متحكمة في العمل الروائي من نظرة الكاتب الى المشاكل الثانوية التي تأخذ وجه المظهر الرئيسي لحياة الانسان العربي وتقيد رؤية الكاتب حتى اليوم هذا ، على الرغم من الحركات الادبية التي ظهرت في انتاج عدد من الروائيين في اوائل النصف الثاني من هذا القرن واواخر النصف الاول منه .

فهل المناهج التي تأثر بها الروائي العربي عن الغرب حثته على اصطفاء المنهج الملائم وتطويره او تغييره ؟ ان المناهج الكثيرة قد تساقطت وانتهت من حياة الرواية الاوروبية بينما لا تزال تعيش في الرواية العربية في حالة تبدو مقبولة ، والسبب في امرين الاول : ان الروائي العربي ما يزال يعيش في خضوع لرياح خارجية على مناخه الشخصي ، تتجاذبه رغبات الانسان الذي يتحفظ في مجتمع تتصدره المعتقدات القديمة والموروثة القائمة كالناموس ، وتطورات العصر ووسائل الحياة الحديثة ، ليقف بين عالمين فيشرب من مناهل الاول ليسكب في قوالب الثاني افكارا قديمة، تجعله على غير ارادته يضرب مرة في الواقعية الجامدة ، ومرة في رومانتيكية بكماء او رمزية حزينة ، او في ادب تحرري اتى متأخرا عن احداثه فبدا كأنه الاجترار .

واما الامر الثاني : فهو الاخذ بصورة مطلقة وثابتة بما يرى بلزاك. في ان الرواية هي صورة صادقة لقطعة من الحياة الانسانية !!

ان تلك الصورة لتبدو ناقصة وتافهة معا في عصرنا الحاضر . لقد كانت في عصر بلزاك كافية وعظيمة ، واما اليوم فانها صورة باردة ولا يمكنها عطاء شيء جديد ، ولا بمقدورها ان تحمل على عاتقها اعباء رسالة في هذا التاريخ الزاخر بوسائل التقدم ، وهي لا تليق بان تكون عينة للحياة الانسانية ، لانها ميتة وباردة ، لواقع يرفض له الدوام على حاله ، برفض جوانب التأخر الباقية امام نور العصور المتقدمة . لقد كانت الرواية متمسكة بعناصر التشويق والرغبة وتمكين دافع الدهشة والغرار في دماء هذا الفن ، لتترك للقارىء حرية التمسك بها والاستمرار خلف المجهول وكانت تهدف الى التسلية ، وبطبيعة الحال .. لا تترك الا بعض الصور والتأملات .

ولقد تجمدت الرواية ، العربية — اذا اصاب التخصيص — في اطار المناهج المكتسبة والاعتقاد بان الاديب عدسة آلة تصوير تنقل واقع قطعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

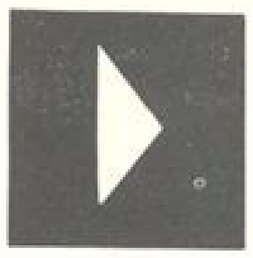
من الحياة الانسانية . فالرواية هي من العلوم الفنية التي تستوعب علوم الحياة والانسان ، وتقديمها اليه في شكل يحكي له القضايا الدقيقة في تاريخ حياته وتطور افكاره واحاسيسه بالوجود والتأثر بتقدمه فيه ، وتصوراته لخطواته القادمة عبره . اذا هي تبحث في جذور الحياة وعوالم الانسانية وفروعها واسرارها ومكنوناتها ، وهي بذلك قد مرت في مراحل متعددة كغيرها من العلوم الاخرى وارتبطت بظروف كل عصر منذ ان عرفها الانسان ، وهي بذلك لا تقبل الاحتفاظ بشكل ملازم او بمنهج متكرر او خلط بين المناهج المتعددة في الرواية الواحدة . انها دراسة في المعاني الجديدة للعالم الانساني ، وتصويرها لقطعة من هذا العالم الانساني ليس لعرضها عليه وحسب بل لاقحام الانسان في خلق معانيه العميقة وملاحقتها ونبش مكنوناته الدفينة . وهي حتمية التطور الشكلي والفني والمنهجي ، وعلى الروائي ورؤيته تتوقف عملية هذا التطور .

على الروائي ان يتقدم الواقع الذي يعيشه بان يسبقه ليرقبه من **الامام ، ليس من فوق او من تحت او من الخلف او الوسط ، يرقبه من الامام ليحتفي بمسيرة الانسانية الخلاقة ، ويضيء على المعاني الجديدة ، والبعيدة ، امام الانسان ذاته ولا يجوز له الاستلقاء على جانب المجتمع ليتأمله وينقله في صورة مماثلة جامدة .**

وعلى الروائي الاديب ان يأخذ بعملية هذا التطور في الاشكال الفنية والمناهج المعروفة ، كما ان عليه ان يعطي الخلق المطلوب حتى يوفر للقارىء الجديد فرصة المشاركة في تتبع العمل الفني الجديد ليعتاده ويميل اليه ويحمله الى ابواب عالم جديد من المفاهيم الانسانية والمناخين الروائي والادبي في الاهداف والمعاني الجديدة . وبذلك ينبغي رفض النظرة الواقعية الجامدة ، والايمان بالنظرة الواقعية الهادفة القائلة : بان الرواية قطعة من الحياة الانسانية الحاضرة مرفوعة في افضل ما يليق الى الانسان المقبل ، آخذة به في اثرها للتأثير عليه ودفعه الى اقتضاب الزمن وتطوير العالم والانسانية .

ومن اجل ذلك فقد انتهت الرواية كعمل يقدم الاغراء السلبي ، وكعمل للتسلية ، او عرض للقوانين والعادات والعلوم والافكار الوطنية والوجودية . لقد ادت دورها في مثل هذه المجالات ، وكانت عبر ذلك مهتمة بحساسية القارىء لقيامها بذلك الدور الاعلامي ان جازت التسمية . وعليها — اي الرواية — ان تشرع في التخلي عن قواعدها السابقة بصورة تدريجية ، والتعبئة التعويضية في آن واحد بابداع جديد لتخرق جدار الضباب الذي يحيط بذهنية القارىء، في مغامرة الى جره لاقتفاء وحدة الاثر .

والروائي المعاصر يعيش ازمة — الوقوف براحة — على قمة تاريخ الرواية الذي يرى نفسه تعتليه ، وامام منحدر النزول الى واقعية القيادة لاقتحام عملية خلق جديدة . انها ازمة التربع على راس القمة التي شيدتها له اعمال الروائيين قبله ، والكافية على خطوطها العريضة لتقديم عمله الادبي الى مجتمع لا يطالب بالاكثر او بالمستحيل ، وازمة الوقوف على ابواب عالم انساني جديد يتحمل مسؤولية توضيح معالمها وترسيخ اشارات التدليل عليها من خلال عملية خلق فنية مشحونة بطاقة مضيئة من الرؤيا الذاتية الملهمة على اكتشاف المكنونات .









ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سبعون عاماً على وفاة الحكيم الثائر

جمال الدّين

الأفغاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم ابراهيم أصلان

هذه سطور قليلة عن حياة مفكر عظيم ، استطاع ان يقلق مسيرة التاريخ في ارضنا العربية ، وتمر ذكرى وفاته اليوم دون اي اهتمام يذكر .

ان جمال الدين الافغاني ملمحا هاما وخطيرا في تراثنا الاسلامي القديم والحديث ، وما احرانا هنا في وطننا العربي ان نعيد النظر في مواقفه ونهتم بدراسة فكره الذي تميز بالشمول ، ونظرياته التي وضعها موضع الممارسة والتطبيق . انه حقيقة وضاءة في تاريخنا النضالي لا يجب ان يطويها النسيان . وكيف يطوى النسيان ذلك الاعصار الثائر الذي قضى حياته مرددا : « انني لا اضع كلمة الله على لساني ولكن في يدي ؟ » .

ولد جمال الدين الافغاني في قرية (اسعد اباد) سنة ١٢٥٤هـ ـ ١٨٣٩م ، لاسرة يتصل نسبها بالامام الحسين بن علي بن ابي طالب . وانتقل في الثامنة عشرة من عمره مع اسرته الى مدينة (كابل) حيث عنى والده بتربيته فتلقى عددا كبيرا من العلوم التي برع فيها .



وابتدأت سنوات كفاحه العملي عندما اشترك في الصراع الذي شهدته بلاده ابان حكم الشاه شير علي خان (١٢٧٠هـ — ١٨٦٤م) مناصرا الامير محمد اعظم الذي قربه اليه واحله محل وزيره الاول ، وظل كذلك حتى عادت الغلبة الى شير محمد علي مرة اخرى . وبهزيمة محمد اعظم رأى جمال الدين انيغادر بلاد الافغان فسافر الى الحج عن طريق الهند (١٢٨٥هـ — ١٨٦٩م) وتوقف بها حيث كان قد رتب امره على الحياة بها متخفيا ، ولكن الانجليز فوتوا عليه تحقيق هذه الرغبة وعملوا على نفيه ، فسافر الى مصر واقام بها نحو اربعين يوما ثم سافر الى الاستانة والتقى بالصدر الاعظم عالي باشا الذي كرمه وعينه عضوا في مجلس المعارف ، ولكن صداما حدث بينه وبين حسن فهمي (شيخ الاسلام) الذي اتهمه بالمروق الديني . فعاد الى مصر في (١٢٨٨هـ — ٢٢ مارس ١٨٧١) . وقررت له حكومة رياض باشا راتبا مقداره الف قرش مصري كل شهر . ولم يلبث بيته ان تحول الى مدرسة زخرت بالرواد . وصاغ شعار (مصر للمصريين) الذي تبناه الحزب الوطني الذي انشأه .وارتاب الخديوي في الامر واستدعاه ودار بينهما الحوار التالي : (انني احب كل الخير للمصريين ، ويسرني ان ارى بلادي وابناءها في اعلى درجات الرقى والفلاح ، ولكن مع الاسف اكثر الشعب خامل ، جاهل ، لا يصلح ان يلقى عليه ما تلقونه من الدروس والاقوال المهيجة ، فيلقون انفسهم والبلاد في تهلكة) .

فقال جمال الدين مجاوبا : ليسمح لي سمو الامير ان اقول بحرية واخلاص ان الشعب المصري كسائر الشعوب لا يخلو من وجود الخامل والجاهل بين افراده ، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل ، فبالنظر الذي تنظرون به الى الشعب المصري وافراده ، ينظرون به اليكم» . (خاطرات جمال الدين الافغاني . المطبعة العلمية ، بيروت ١٩٣١ ، ص ٤٦) .

وعلى اثر ذلك بدأت الحركة الفكرية الوطنية في الظهور . وطلب منه الاحرار ان يقدم مخططا للعمل النيابي المصري . واتضح من هذا المخطط موقفه العدائي لبريطانيا التي تولت جرائدها ترجمة كلماتهونشرها. وداخل الخوف المستر (فافياني) قنصل انجلترا في ذلك الوقت فحذر الخديوي من وجود جمال الدين ، واستجاب الخديوي ، واصدر امره بنفيه ، وهكذا غادر مصر سنة ١٢٩٦هـ — ١٨٧٩م .

وسافر الى باريس حيث التقى بالاستاذ العالم الشيخ محمد عبده. وقاما باصدار (العروة الوثقى) التي صدر منها ثمانية عشر عددا اثارت انزعاج الحكومة الانجليزية فاغلقت في وجهها الهند وحرمت دخولها الى مصر . وقبل ان تنتهي مدة اقامته بفرنسا التي استمرت ثلاث سنوات، كان قد كتب عددا من المقالات المثيرة عن السياسة الدولية في الصحافة الروسية والانجليزية (كان جمال الدين يجيد الافغانية والتركية والفارسية والفرنسية والانجليزية والروسية) كما كان قد اشترك في نقاش مع الفيلسوف الفرنسي (رينان) عن (العلم والاسلام وحقيقة القرآن والعمران) .

تجول بعد ذلك في اوروبا .والتقى بالشاه ناصر الدين سنة ١٨٨٩م فتراضيا واخذه معه الى طهران وطلب منه ان يضع قواعد دستور للدولة . وما ان انتهى منه جمال الدين حتى هال الشاه الامر عندما لاحظ ان الدستور بصورته تلك سيكون مقيدا لحكمه ، فقال له : « ايصح ان اكون يا حضرة السيد وانا ملك ملوك الفرس (شهنشاه) كأحد الفلاحين ؟

ورد جمال الدين بقوله : الفلاح ، والعامل ، والصانع في المملكة يا حضرة الشاه انفع من عظمتك ، ومن امرائك . واسمح لاخلاصي ان اؤديه، صريحا قبل فوات وقته .

لا شك يا عظمة الشاه انك رايت، وقرأت عن امة استطاعت ان تعيش بدون ملك على راسها ، ولكن هل رايت ملكا عاش بدون امة ورعية ؟» (الخاطرات ص ٦٠) .

ونفر منه الشاه نفورا شديدا . وآثر جمال الدين ان يقوم بنفي نفسه طائعا هذه المرة وسافر الى بلدة (شاه عبد العظيم) على بعد عشرين كيلو مترا من طهران . وراح يجوب المنطقة خاطبا مستحثا الجماهير على التقدم لاصلاح حكومتهم . وكان ان جن الشاه وارسل له خمسماية فارسي ، وبالرغم من مرضه بالحمى فقد انتزعوه من فراشه وظلوا سائرين به حتى وصلوا الى حدود المملكة العثمانية في ولاية البصرة ، وهناك القوا به . وقامت قيامة مريديه . ولم يمر وقت طويل حتى كان الشاه قد سقط قتيلا بيد رجل من الفرس . سقط وهو يقول عندما تلقى الطعنة: « يا لثارات جمال الدين » .

ومكث جمال الدين بالبصرة حتى استرد صحته ، ثم سافر الى انجلترا . واستدعاه السلطان عبد الحميد الى الاستانة فوصلها في سنة ١٣١٠هـ واواخر سنة ١٨٩٢م . واحسن السلطان استقباله وهيأ له قصرا . ومكث بها زهاء اربعة اعوام، الى ان مات بالسرطان في ٧ شوال سنة ١٣١٤هـ — هـ مارس سنة ١٨٩٧م . وقد اثيرت بعض الشبهات حول ظروف وفاته تلك .

وهكذا انتهت حياة المفكر العربي الذي قاوم الطغيان واثار القلاقل أينما حل ، والرجل الاسطورة الذي كان يغلي بالمعرفة والثورة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

النقد الى أين سَيرُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقفتنا اليوم حول النقد ، وهي وقفة قصيرة ، ارجو الا تتدخل العاطفة فيها كثيرا ، وان كنت اريدها ان تظلل نفوسنا بخضرتها الوارفة ، هي اذا وقفة مع النقد نرافقه منطلقين من أبسط قواعده دون اخلال او تفريط ، فقد قالوا : النقد هو اخراج الجيد من الردىء ، ولم يتجاوزوا هذا المفهوم ، انما نفذوا الى اغواره ، والخلاف يدب دائما حول ماهية الجيد ونوعية الردىء ، وهذا هو الامر الذي نريد ان نبحثه بلا غلو ولا توغل فخير ما نعتز به هو التبسيط والتقريب والمشاركة ، وأحوج ما نحتاج اليه هو سهولة تنشط العقل وتجعل الافكار تنساب ، وفي انسيابها حجج الاقناع ، هذا ما نرجوه ونسعى اليه في وقفتنا هذه امام النقد المعاصر الذي تطول قصته وتتشعب ، واصابع الاتهام تتركز عليه وكل يحاول ان يدينه ويحمله اطنانا من الاسباب ، ولكن كل هذا لا يرفع عني التهيب وانا اطرح سؤالي ويجد التحرج طريقه الي وانا اهمس .. ماذا استفاد الادب العربي من نقاده ؟ ..

كلي امل ان يكون هذا التساؤل خفيفا على العقول ، سهلا على العواطف فكل ما اخشاه هو أن يجمع كل ناقد مجموعة من الحصى .. لا ليرجموني بها ، فهم اكرم من هذا واجل ، ولكن ليبسطوا الحساب لي لكي ادرك ما قدموه للادب ويقدمونه ، ويحضرني في هذه المناسبة خاطر ترسب في نفسي من المناقشات التي دارت حول الرواية وانصراف النقاد عنها ، فقد حاول كل واحد ان يحصي ما نقد من كتب ومن روايات وكأن القضية هي كميات ضخمة من الكتب يخص كل واحد منها سطور في جريدة يومية او مجلة اسبوعية تطول هذه السطور او تقصر ، المهم ان هناك ذكرا على هامش القضية والسلام ختام ..



طه حسين



العقاد



محمود امين العالم



يوسف ادريس

ما اشنع ان نكون هكذا ولكن المصيبة والبلية الكبرى اننا فعلا هكذا .. كل هذا يدعونا للاعتياد على السير في النور ما امكن ، ونبتعد كل الابتعاد عن الظلام المنسي ولنحدد ماهية النقد التي دعا اليها الناقد الانكليزي .. ا. ا. رتشاردز في كتابه « مبادىء النقد الادبي » يقول الناقد الانكليزي « **الاسئلة الجوهرية التي يطالب النقد بالاجابة عنها لا تعدو ما يلي : ما الذي يضفي قيمة على تجربة قراءتنا لاحدى القصائد ؟ وما الذي يجعلها افضل من غيرها من التجارب ؟ ولماذا نفضل لوحة فنية بالذات على غيرها ؟ وعلى اي نحو يجب علينا ان نستمع إلى قطعة موسيقية بحيث نستطيع ان نحظى باكثر اللحظات قيمة ؟ ولماذا نعتقد ان رأيا معينا في نتاج فني يفوق غيره من الاراء ؟ هذه الاسئلة الجوهرية التي تلزم الاجابة عنها في النقد** » ..

هذا هو راي هذا الناقد حول الاسس التي على الناقد ان يقف امامها باحثا عن اجوبة لها ، ومهما اختلفنا معه في الراي فلن نستطيع تجاهل النقط التي اثارها ، فالتجربة واثرها والجمال المتمركز في اي ناحية من العمل الفني لهما اكبر الاثر ، ونحن اذا وقفنا امام اي عمل ادبي يجب علينا ان نكون متمثلين اكثر هذه القيم لان الفن نسيج متكامل من جوانب متعددة هي الحياة بتعددها ، فنحن مثلا قد نختلف في حب الازهار ، فهذا يعشق الورد والاخر يتحرق شوقا للقرنفل ولكنهما يتفقان في حبهما للجمال وللتكامل الفني فوجود هذا الحب وهذا الشوق هو الذي يحدد معنى الفن والادب ، ولكننا سرعان ما ننصرف عن هذا لنغوص في معميات لا لشيء الا لندعي او نظهر اننا نملك من الذكاء ما يفضلنا على الغير فاحدهم يبحث عن كلمة شاردة ليرجعها الى معاني هي ابعد ما تكون ويكون هو ذاك العمق والا فلماذا اصبح ناقدا ؟ فاحدهم مثلا امسك بمسرحية **توفيق الحكيم** وحولها الى قاموس من الرموز ويا سلام على كولمبس الادب ..

ولو تتبعنا نقادنا لوجدنا مهازل تجعلك تشعر بالسخط وليست مهزلة النقاد حول مسرحية **يوسف ادريس** الا مثل يكمل قائمة الامثال ، ولنقف قليلا مع الاستاذ **بهاء طاهر** حين تناول مصائب النقاد التي انهمرت على المسكين **يوسف ادريس** ، فيذكر ان النقاد يتفقون ان **يوسف ادريس**

هو من المع الكتاب ويتكلمون عن اعماله الماضية باحترام وتبجيل ويعتبرون كل عمل جديد لـــه سقطة جديدة والاسباب تختلف بطبيعة الحال من كاتب لاخر . وهذا الموقف يتكرر دائما ، فقد وقفوا امام مسرحيـــة يوسف ادريس السابقة « الفرافير » وقفوا نفس الموقف . اما الان فقد اصبحت قديمة اذا فهي عظيمة ، اما هذه الجديدة فهي رديئة وغير فنية الى ان يدب بها القدم ويكتب **يوسف ادريس** مسرحية اخرى فينتقل الهجوم الى المسرحية الجديدة وهلم جرا ..

بهذه المقاييس تقاس اعمالنـــا الفكرية ، وليست حكايـــة الهواء الاسود ببعيدة عنا .. فهي تمثـــل جانبا من قصورنا في النقد ..

كل هذا يجعلنا ندرك ماهيـــة نقادنا ، فاغلبهم يعيش على الانيـــة يحكم ثم يغير الحكم ، وهذا يدل على انهم لا يختطون لانفسهم طريقا وليس لهم مذهب معين يسيرون عليـــه .. ناقد والسلام .. اما لماذا ؟ وكيف ؟ فهذا امر لا علاقة لهم به ، ولو اننـــا رجعنا للرواد امثال **العقاد وطـــه حسين والمازني** لوجدنـــا ان اغلب هؤلاء يسيرون على ارض ، يعرفون ماهيتها ويقيمون بموضوعية **ويدافعون** عن ارائهم لانها تمثل المبدا الـــذي يسيرون عليه ، وليس معنى هـــذا انهم لا يرجعون الى الحق متى بـــدا لهم ، **فالمازني تراجـــع عن كثير من ارائه في حافظ وكذلك العقاد ، وان كانت هناك بقية من كبرياء ولكن على كل حال فقد كانوا اكثر احتراما لمـــا يكتبون من نقادنا اليوم .**

وليس معنى هـــذا ان نقادنا الذين نعايشهم اقل من هؤلاء بل العكس قد يكون ، اصح في مجـــال النظرة المقارنة ، ولكن الفاصـــل الزمني وظروف العصر والبناء الذي يجب ان يكون اكثر ارتفاعا ممـــا قدم هؤلاء السابقين ، يجعلنا ندرك ان قيمـــة الاثر الذي تركه هؤلاء ضخما ضمن حدود زمنهم ونبحث عن قرينة عنـــد نقادنا فلا نجد الا اصداء صادقة في احيان كثيرة ولكنها ليست شاملـــة الادراك .

وهذا هو جـــانب من جوانب الافلاس في النقد ، واذا كان هـــذا الجانب يعاني من التضارب المستمر كنتيجة لابتعاد بعض النقـــاد عن انتهاج نهج معين يقيمون من خلالـــه فهناك ايضا ما هو امر وادهى ونعني به اولئك الذين اختطوا لهم مذهبـــا يرون من خلاله العالم وعلى مبادئه يقبلون العمل الفني ، ولكن النظرات تتركز حتى انها لا ترى الا الجانب الذي تستعد مسبقا لتراه ، اما مـــا عدا هذا فهو امر ليس له اية اهمية. ومن هذه البؤرة يعاني الادب مـــا يعـــاني ، فالامر الطبيعي هو ان اختلاف الايدلوجيات لا يعني بخس حق الادب لكل انسان ان يحكم من خلال ما يريد ، ولكن ليس له الحق ان يجرد العمل الفني من خصائصه ومميزاته لا لشيء الا لانه لا يتفق معي في المبدا العام ، كما انه ليس لي الحق في ان اعطي العمل فوق ما يستحق لانه طبل وزمر لي ، وهـــذه حقائق بسيطة وسهلة ومعروفة وهناك مـــا يسمونه الموضوعية في الحكم وهـــذه الموضوعية معروفة ويرددها النقـــاد كـــل ثانيـــة ولكن الترديد شيء والاستعمال شيء اخر . ولكي ندلل على هذا الراي لنأخذ مثلـــين الاول عالمي والاخر من بلادنا العربية .. العالمي هو حادثة **باسترناك** ، فهو حين اخرج كتابه **الدكتور زيفـــاجو** عرف العالم ان هذا الكتاب يسيء الى الثورة الروسية وطبعـــا موقف السياسيين تجاه هـــذا الكتاب امر طبيعي لا غبار عليه ، ولكن الغبار واللوم يقع على النقاد الذين اخذوا هذه النقطة وراحوا يجترونها وكان قصة **الدكتور زيفاجو لا تحمل بـــين طياتها الا الهجوم على روسيا اما الجوانب الانسانية الرائعة اما اللمسات الفنية البارعـــة فهذه لا تخص النقـــاد .. !!**

ليس هذا حجرا على النقاد ولكن دعوة للانصاف ودعوة للنظرة الشاملـــة للخلق الفني ، ففي كل خلق جوانب متعددة ليكشفها الناقد ، واذا كـــان هناك هجوم او اختلاف بالراي مـــع ايدلوجية معينة ليكشف هذا الاختلاف ولكن بحيث لا يتجاهل ما في العمل الفني من جوانب اخرى .

المثل الاخر ، وقلنا عنه بانـــه في نطاق الادب العربي ، فهي تلـــك النقطة التي اثارهـــا الاستاذ **محمود امين العالم** حول مسرحية **الشرقاوي** « الفتى مهران » . والاستاذ **العالم** هو احد النقاد الموضوعيين والذين يعرفون بفضلهم في هذا المجال ،ولكنه وقف امام هذه المسرحية ليقول ان فيها « غمزا » على حالة سياسية معينة ، وامر طبيعي ان يكشفه الاستـــاذ **العالم** ، ولكن عندما تتجرد المسرحية من كل ما فيها الا من هذه النقطة فهذا امر يأباه الادب .. وكل المناقشـــات التي دارت بعد ذلك كانت حول هذه النقطة احدهم مهاجم والاخر مدافع اما الجانب الفني فهذا لا اهمية له ..

جوانب وسقطات كثيرة يعاني منهـــا الادب العربي ولن نستطيع الوصول الا اذا كنا على استعداد لان نصل الى ما نرجوه .. اخيرا ارجع مرة اخرى للاثر الذي تركه النقـــد للادب واقول حتما ان الحالة التـــي ذكرناها لن تتيح للناقد والفنان كي يلتقيا فلا يزال التفكير السائد هو ان بين الفنان والناقد حربا لا تنتهي الا بسفك دم احدهما وبارك الله في الاثنين وامدهما بالقوة لهذه الحرب التي لا تبقى ولا تذر !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَداعَاً يَا قلبُ

قصّة : فرحان راشد الفرحان

... جار الزمان عليها وهي في ربيع العمر وريعان الشباب، ولم تكن تعلم قط قبل ان تداهمها صدمات القدر ان في هذه الحياة الشيء الكثير من الالام والمتاعب بل وما كانت تصدق لو قيل لها ذلك ، فهي تراها مليئة بشتى المباهج والمسرات ، وانها سعادة دائمة مقيمة .

جار الزمان عليها — والزمان خؤون لا يستقر على حال من الاحوال — فتجرعت مرارة الحرمان وتبدلت الحياة امام عينيها فصارت ظلمة دامسة بعد اشراقها بانوار البهجة والمرح يوم كانت تتأملها خلف منظار من السعادة ، فتراها زاهية زاهرة صاخبة بانواع المسرات .

ضاق قلبها الصغير الطاهر ذرعا بما يقاسي من الحوادث والالام ، بل ويوشك ان ينحطم امام قسوة القدر حيث اوصدت امامها ابواب السعادة فلم تجد مفتاحا واحدا تستطيع به ان تفتح بابا من الاستقرار والطمانينة .

لقد كانت الحياة امام عينيها ربيعا فتانا ازهاره الجميلة امالها وامانيها يتضوع عبيرها بشذى السعادة وعبق النعيم اجتاحه خريف القدر فذبلت ازهاره وتساقطت اوراقه هشيما تذروه رياحه فلم تعد تصدق هذه المرة ان في هذا الكون اي سعادة ترجى او سرور ينتظر .

كانت على سريرها وقد اخذ الاعياء منها ماخذه ، انها محمومة تهذي وتهرف تردد شكواها والهم والشجن يملآن قلبها المنهوك .. لا شك انها كانت تنشد السلوى وتخفف عن نفسها بالبث بعض الشيء

قالت ممرضتها : لو ان قلبا قد من حجر امامها تلك اللحظة لتفجر اشفاقا وعطفا عليها .. لم تقف دموعي منذ بدأت تسرد علي — بل قل على مسمع الزمن — قصتها حتى النهاية التي كانت على اثرها نهايتها .

كانت ايام حياتي تمر جميلة فيها كل معاني السعادة بجوار والدي حيث كانا يسبغانا على عطفهما وحنانهما فقد كنت وحيدتهما المدللة ، لقد صورا لي الحياة نعيما ما بعده نعيم فكنت الهو واعبث دون ان يخطر ببالي آنذاك بان في هذا الوجود شيئا ما اسمه (الشقاء) .

في زهرة الشباب عللتني نشوة الاماني والاحلام . ما فكرت في شيء سوى ان هناك جنة من المستقبل سأرفل فيها وسأتقلب بين لفائفها ، وكم كانت الدنيا لا تسع آمالي واحلامي حين اجلس الى والدتي كصديقة عزيزة تشرح لي باسلوب تمثيلي وحديث منمق ما سيصادفني فيما بعد من هناء فتتفتح امام عيني مغاليق الحياة لعذب احاديثها في تحقيق امالي.

ثمانية عشر ربيعا منذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تنسمت رائحة الوجود وجو حياتي مشبع باريج عطري من الراحة والاستقرار .. طفولتي البريئة .. ثم فتوتي .. ثم شبابي .. مراحل ثلاث كان لكل مرحلة منها احساس جميل في فؤادي ففي الاولى صداقة، وفي الثانية شعور بالعطف والحنان ، و في الثالثة وماذا كان فيها ؟ ان في نهايتها اسباب شقوتي وبلائي ، لقد كان فيها القدر الكبير الذي قدر لي ، كان فيها الحب الطاهر منتهى السمو بالعواطف .

لقد تدرجت خلال هذه المراحل الثلاث ومرت علي ادوارها مرور اطياف جميلة لم يتكدر صفوها الا من بعض احساس مشوب بالحنين عند الفرقة .

اي حب ذلك ؟ ولاي حبيب ؟؟

انه لابن خالتي احمد .. لقد نشا هذا الحب وترعرع معنا ونحن طفلين غريرين نذهب الى المدرسة ونعود منها سوية ، ونلهو ونلعب في المنزل يغضبني ويرضيني ، واغضبه وارضيه، ذلك هو الحبيب الذي اصطفاه قلبي وهو الاليف الذي كنت ابني صروح الامل من اجله .

على ذلك الانسان الحبيب لاول مرة في الحياة احس بالالم واتصور وقع الصدمات البغيضة على القلوب المطمئنة عندما فرق الدهر بيني وبينه مسافرا الى الخارج في بعثة دراسية بعد ان شيد لي قصرا فخما من الامال ونحن نقسم يمين الاخلاص ونتعاهد على الوفاء لكي يكون لي واكون له ... وان انسى فلن انس ما حييت ساعة الوداع وعيناي تذرفان دموعهما وهو يكفكفها بمنديله ويقول : اتبكين يا حسناء اليفا يسعى في طلب العلا لاسعادك؟ تبسمي يا اعز الناس ، ووفري هذه الدموع لفرحة العمر فانني لا اطيق دموع الالم في عينيك .

اواه !! اين تلك العاطفة الجياشة واين تلك اليد ؟ لا لتكفكف الدموع ولكن لتمسح على جراحات قلبي العميقة الغائرة لعلها تبرأ .

صدمة امر واقسى حطمت اعصابي وملأت فؤادي يأسا وأسى كانت تلك فاتحة الالام والاحزان تداعت على اثرها سعادتي واندثر هنائي ، وهل شيء اقسى وامر من فاجعتي ونكبتي بفقدان والدتي وفراقها الى حيث لا رجعة ولا عودة ، انها كانت لي بمثابة الشقيقة الوفية والام الرءوم في آن واحد ... خلفتني وحيدة بعدها مع والدي لا اجد من ابوح له بخوالج نفسي ومكنوناتها ، خلفت لي فراغا لن يملأه انسان .

وتوالت الالام تترى تهد قلبي المكلوم فقد اقترن ابي بامرأة قاسية الى ابعد ما تكون القساوة .. فظة غليظة ، متهالكة مغرورة ، جمعت بين المكر وعدم الاتزان .. اذاقتني مرارة العيش والحرمان ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت سببا في هدم مستقبلي بمعاول اهوائها وخداعها .. عاملتها معاملة الابنة البارة المطيعة واخذت احترمها كما كنت احترم والدتي وقمت معها بكل ما يجب ان تقوم به فتاة مثلي تجاه زوجة والدها فلم يكن جزائي منها مقابل كل ذلك سوى الجحود والنفور والقسوة والاهانات المتكررة لاتفه الامور.

كذلك بقيت تحت رحمتها عاما كاملا حاذرت خلاله كل الحذر بان لا يعلم والدي بشيء مما اعانيه حتى لا اكون سببا في المشاكل او تعكير صفوهما كما ظننت ، غير انه تعدى بها المكر ودفعها الغدر بان تضحي بسعادتي على مقصلة رغباتها فكانت صدمة جديدة .. انها على قلبي اعنف الصدمات واقسى ما سطره لي القدر في سجل مآسيه حيث كان فيها هدرا لمستقبلي وكرامتي وتحطيما لامالي فقد فاتحني ابي بكل صراحة واخبرني انني عن قريب ساتزوج فلاكن على هبة.

اعلم جيدا انني اصبحت امام واقع مر في مرحلة من ادق مراحل عمري وانني اواجه قتلا بطيئا.. انني لن اسعد في الحياة بجوار هذا الخطيب الذي فرضته زوجة ابي وانا التي قطعت عهدا لشخص ملكته قلبي ومن اقربائي ترعرعت ونشأت معه ، فهمني وفهمته .

لم اتمالك نفسي ! بل ولست ادري كيف واتتني الشجاعة للاجابة ردا على ابي عندما قلت له : **انني لا ارغب في هذا الزواج ، بل ولا ارغب في اية زيجة كانت نهائيا** .. فغاتبني بادىء الامر برفق وهو يذكرني انني ما عصيت له امرا يوما ما ، واكد لي بانه قد انتهى من الرد بالموافقة والتمس مني ان لا ابدي اي عناد او اصرار لانه يتوسم في الطاعة دائما .. وحقا لم اعترض قط على امر من اوامره طوال ايام حياتي ، فقلت له — سامحه الله — بكل صراحة وفي شيء من الخجل والحياء وقاتل الله الحياء حيث يحجمنا كثيرا عن الافاضة بما تكنه افئدتنا :

اظن انك نسيت احمدا يا ابت ؟؟ .

فاجابني ببسمة ساخرة وقد فاته ما يكن الفؤاد من حب وولاء لاحمد وكان الجد والاصرار هذه المرة واضحين جليين على محياه اذ قال :

ابن خالتك سيواصل دراسته بضعة اعوام قادمة ، وانت تبارك الله زهرة قد حان قطافها ، والمستقبل غير مضمون فربما غير ابن خالتك رايه فيك وتركك تندبين الوفاء ليحتوي غيرك فلا تحاولي الهذر الكثير فقد تم كل شيء واعملي بما امرتك به وكفى .

لقد تبوأ اليأس تلك الساعة بؤرة الشعور من نفسي وتملكني الاسى والحزن حيث علمت ان اوان الامل قد فات وكل محاولة لي من اي نوع كانت لا شك انها فاشلة وان هذا الحدث البغيض على نفسي واقع لا محالة ...

من انا يا رب حتى تحملني الاقدار ما لا طاقة لي بحمله ، ويتصرف الزمن بايلامي جورا ؟ انا فتاة لا حول لها ولا قوة .. انني لاتضاءل امام الحوادث والضربات !! الم تجد الاقدار من هو اقسى مني قلبا واقوى شكيمة ؟؟

كم رددت آهاتي واستعطفت القدر ودعوت المولى ان يفرج عني هذا الكرب ولو ابتلاني بكرب غيره .. بكيت في سكون الليل على فراشي وانكويت بزفراتي طوال ساعات النهار فضاقت الدنيا الرحيبة امام عيني، لا الليل احظى في سكونه بسكون مثله ولا النهار بصخبه وضوضائه ينسيني متاعبي ويدفع عن فؤادي خلجاته المملوءة بالهم والشجن !!

وكذلك اصبت بحيرة ممضة واوصدت امامي كل سبل الخلاص فما اقسى الحيرة وما امرها على فتاة مثلي وقفت مكتوفة اليدين تتنازعها الهواجس والافكار القاتمة لا تدري اي شيء تفعل .

هل انتحر ؟؟؟

واين مني ذلك وانا الفتاة الضعيفة التي لا تجسر على القيام بمثل هذه الامور الكريهة حتى ولو كانت لي القدرة والشجاعة على مثل هذا العمل فانه لمن اعظم الكبائر ان تنتحر فتاة تحطمت امانيها ويئست من مواجهة الواقع بصبر وجلد ، وهناك الفضيحة والعار ، وانه لسخرية من السخريات ومهزلة من المهازل مقرونتان بشخصية فتاة تقضي بيدها على حياتها لان الظروف القاهرة ارغمتها على ان تتزوج بغير من تهواه ، انه الخزي ولا شك .

ماذا افعل ؟؟؟

هل افر من المنزل ؟ تفكير سقيم جدا فرار فتاة من منزلها هاربة من حياة ارغمت على ان تحياها ، وان في ذلك اوخم العواقب ! واين ستختبىء عن عيون اهلها وذويها ؟ انها لن تكون بعيدة عن احضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرذيلة وان السنة النـــاس الحداد لن تتورع عن ايـــذاء سمعتها وتجريح شرفهـــا وكرامتها واتهامهـــا بالنزق والطيش ولن يتحدثوا عنها الا بالذم والقذع .. سيقولون انها تنكبت الطريق السوي القويم وفرت لتلقي نفسها في مهاوي الرذيلة تجني ثمـــار الفجور وتتمرغ في اوحال المجتمع .. وهذا ما لا ارضاه لنفسي .

هـــل اتنكر لوالدي واتمرد عليه ؟؟؟

حاشـا ان يكون ذلك !! ولو كان فان معارضتي لن تجدي فتيلا وابي لن يقابل اصراري الا باصرار مثله انه رجل صارم فاذا صمم على امر فلن يهـــدأ ويرتاح الا بعد تحقيقه .

لن استطيع عمل شيء مـــا وقد تصرمت وتقطعت بين يدي خيوط الامل والرجـــاء وليس امامي سوى الصبر الجميل . وهكذا مرت فترة الخطوبـــة بايامها الكالحة المكللة بظلمـــة الاحزان ، وفي ساعات خلواتي الى نفسي اذرف فيضا من الدمع واصعد الاهات الحرى ، واي شيء امام الثاكل غير البكـــاء والنحيب . فانا ثكلت وحيـــدا رعرعته منـــذ الصغر وحنوت عليه اعظم الحنان ، وحيـــدا كان عندي اغلى ما يكون ، هو زهرة رغائبي ومحط امالي ، ذلك هو حبي وغرامي الـــذي هبت عليه اعاصير خريف الحياة فخلفته هشيما بعد ان كـــان يسرح بين مروج الربيع في احلام وردية .

ليلة ما اعنفها وما اتعسها تلك الليلة !! يضحك النـــاس فيها وابكي ، فيا للقدر الجائر! متى كانت العذارى ينتحبن في ليالي اعراسهن ؟ قالوا وقـــد كذبوا حين قالوا انها ليلـــة عرسي واغراحي ، ابـــدا والله ما هي الا ليلة مأتمي واحزاني.

كان الناس في سرور وبهجة وكانتدموع الاسى على وجنتي بقية اثارهما .. لقد جـــاملت كثـــيرا فابتسمت وقلبي ينتحب فيا لها ليلة ليلاء تحطمت فيهـــا اجمل المنى على صخرة المطامع والاهواء .

رضخت لمشيئة الله فتزوجت فلم اكن قاسية ولم اكن جحودة ولكنني مثال المراة الوفيـــة المخلصة التي تضع الامور في نصابها وترعى اسمى آيـــات الواجب والضمير فقـــد صممت على ان اطوي الغرام الاول في سجل النسيـــان حيث اراد الله لي ان اطويـــه وناشدت الزمن ان يحول ذلك الحب الى تقدير فقط ، وما كان ذلك الا ارضاء لضميري ووفاء مني الى الشخص الذي كتب لي في لوحة القدر ، فما انـــا باللعوب او الخائنـــة التي تعود بمزل الزوجية وتفكر في رجـــل اخر زوجها ، غير ان الاحداث خيبت آمالي في الحياة مع زوج دنيء منحط فقد كل معاني الانسانية . فحطم البقية الباقية من آمالي الكئيبة .

طلق ابي زوجته لتصرفات سيئة بدرت منها فما كان من السافل الا ان انفصـــل عني انتقاما لشقيقته ولما يمض على ارتباطنا الا شهور قلائل واذا بنا نعود كما كنا انـــا ووالدي وحيدين كما خلفتنـــا والدتي والندم والعطف يملآن نظراتـــه الى حيث لا ينفع الندم .

كـــان ابي سامحه الله هو السبب ...

حرمني نعيم الحياة ورماني في جحيمها وهو لا يدري !! ظنا منه انني ساسعد بما اراده لي فما كان الا ان شقيت وتالمت وتذوقت مرارة العيش وانكويت بلهيب الحرمان .

كان شبـــابي لا يزال في نضارته وجمالي كمـــا هو لم تعبث به اصابع القدر ولم تبدل منه الصدمات مما دعا كثيرا من الناس الى طلب يدي ، وكان ابي اخيرا يأخذ رايي في كـــل طلب فلا يجد مني سوى النفور والكره لذلك ، انه درس قاس علمه كيف يجب ان لا يتصرف في قلبي ومستقبلي كما تشـــاء اهواؤه ، ولكن ما الفائدة الان بعد ان طوح بعرش سعادتي وهنائي .

اجل كنت ارد تلك !لايـــدي التي امتدت الي لتحتضنني كما يقول والـــدي .. لم يداخلني الشك في ذلك ولكن هناك سرا في اعماق نفسي كنت محتفظة به يحجمني عن كل تلك الايدي التي تطلبني ، ولقد آليت على نفسي ان اترهب الى ما شاء الله واهب قلبي نوعا من الحرية ليعيش في اطار امنية جميلة لو عدلت نواميس الطبيعـــة في احكامها لكان مصيرها التحقيق، لقد كنت اتأرجح بين الشـــك واليقين في ثقتي من تحقيق هذه الامنية ، او ان الخيال كـــان يخدعني بذلك فجعلني اسعى وراء بصيص من نور السعادة ظهر من بعيد في ظلام حياتي ، وكنت امسي واصبح يحـــدوني الامل ولكن !! خذلني الامل .

كان هناك سر !! وكـــان السر « احمد » ... لقد منيت نفسي باعذب الاماني الخلابـــة وخدعني سراب الامل اذ فكرت ان اتمادى في الوفاء ولو مضى اوانه . لـــه الله قلبي .. كم تعذب وكم تألم . لقد عـــاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحبيب الذي قطع القدر بيني وبينه ما اتصل من اواصر الود والغرام ، وارغمني الـــدهر الغادر ان احطم قيثارة العهود الرخيمة فكنت مع المهنئـــين بسلامة العودة بعد ذلك السفر الطويل . ولكن كيف كنت ؟؟ انني شبه محمومة ، اصابتني نوبة من الذهول بينما كـــانت عواصف الالم تثور بين جوانحي لما حدث وما كان ، لقد كـــانت جوارحي تصرخ في اعماق نفسي وكدت يعلم الله **لولا الحياء ان ارتمي عند قدميه اقلهما واهتف به : لا تشح بوجهك عني!!انني حبيبتك التي ما آلمتهـــا قط . واتوسل اليه ان يغفر لـــــي ويصفح عن زلة كنت مرغمـــة على اقترافها .**

لقد ندمت كل الندم لمجيئي حيث حدث لي عكس ما كنت ارجوه واتصوره ، لم يعرني اي اهتمام ولم يلق لي اي بال .. بضع كلمات فقط كـــانت كفيلة بان تبدد فرحتي وتبدلها الى الم ممض قالها لي وتركني اغالب عاصفة تثور في نفسي جامحة : **« اسفت لعدم وجودي في قرانك الميمون حتى ابارك لك »** .

بسمة تخللت كلماته كـــان فيها من المغزى والمعاني الشيء الكثير ، ولعلها ابتسامة الهزء والسخرية ، هذا ما لم يداخلني ادنى شك فيـــه . واخيرا !! وماذا اخيرا ؟؟ عدت الى المنزل بدموعي اجر ورائي اذيـــال الخيبة ، لقد حدث كل ذلك ! اجل كل ذلك وانا المتيمة مـــا زال الامل يراودني بعطفـــه ورضاه ، كما انني عزوت مـــا حدث منه تجاهي لالمه حـــين مشاهدتي بعد فراق طـــال امده .. لقاء لا بد انه اعـــاد الى خاطره ذكريات المـــــاضي الجميل الذي قضيناه معـــا ، ذكريات الحب الـــذي طوحت بازهاره اعاصير القدر وهي في مستهل الربيع .

الا قاتـــل الله الاقدار التي تجرعنا كاســـات العلقم فوق كربنا باوصاب الحياة . جاءني في المنزل صدفة لزيارة والدي، يقول لامر يتعلق ببعض الاعمال وقد كان والدي تلك الساعة متغيبا خارج المنزل ، حيـــاني ببرود وفتور زائد فلم يحتمـــل قلبي المنهوك منه ذلك اللقـــاء الشاذ فتهالكت موهونة القوى على المقعد وصدرت مني دون ان اشعر آهة طويلة خرجت من اغوار نفسي السحيقة تحمل اسمه الجميل بكـــل استعطاف وذلة ، فلم يفته ما داخلني تلك اللحظة من شعور واحساس، رمقني بنظرة حادة وهو يقول :

اراك تتشبثين بماض عفى واندثر وتحاولين نبش رفـــات الذكريات من جديد ، ان كـــل شيء مضى وفات فاسدلي عليه الستار ، وجدير بك ان تتذكري بدلا من ذلك انـــك غدرت بي وسخرت بعواطفي .

كلمات قاسية جرحت فؤادي جرحا بليغـــا وادمت موطن العزيمة فيه . لهف نفسي حتى الحبيب الذي كان من الرقـــة علي كالنسيم تنكر لي اخـــيرا كما تنكرت الحيـــاة لضاعف شجني وحزني وكال لي فوق ما اعانيه من الصدمـــات والحوادث . وانـــا التي كنت انتظر المغفرة والرحمة منـــه وكنت اظن انه سيقدر ظروفي وتضحيتي في واقعي المر فيحول برجولته بيني وبـــين الزمن ويمسح جراحي .

جميل ما كان وما حدث !! حسبي من السلوان انه خير جزاء لي ذلك الذي صدر منه نحوي من قسوة ، لقد غادرني كسيرة القلب مكلومـــة الفؤاد تتنـــازع نفسي الحسرة وتثور فيها عواصف الالم والذكريات .. حقا انه ماض عفى واندثر، اجل ان الحياة بما فيها اقفرت فليس هنـــاك اي شيء يرجى منها او ينتظر ، فيا للؤم القضاء الذي لا يشفق ولا يرحم .

منذ خمسة ايام فقط رزاني القدر ولم تكفه غصصه التي جرعني مرارتها . **لقد فجعني بآخر عمود كنت اتكيء عليه ، تالله ما اقساه لم يبق في جعبته سهم الا وصوبـــه الى قلبي ، وقلبي لم يبق فيه موضع الا وفيه جرح عميق ، ولن يأسو تلك الجراحات غـــير الموت ، الموت الذي اخذت اتعجله ولا اخشاه لعله يريحني مما اعانيه.**

انني اخشى ان تتعدى بهذا القدر قسوته ان بقيت على قيد الحياة وحيدة فيجرفني منه تيار مأثوم ، **لقد مات ابي معتمدي وخلفني وحيدةي بائسة فمـــا قيمة الحياة وقد فارقني الاهل والاحبة .. حنانيك يا رب ما كنت اعلم ان الهوى هوان .**

★★★

الى هنا توقفت السيدة عن الحديث تردد انفاسها الاخيرة وتتألم بعد ان فتحت سجـــل حياتها وتلت سطور مأساتهـــا حتى النهايـــة واستعرضت صورها الحزينة فاذا بصوت هـــادىء رزين يشق سكون الحجرة مرددا :

— انني هنـــا بجوارك جئت اليك اكفر عن اساءتي !!

انتبهت من شرودي واصغائي على اثر ذلك الصوت فالتفت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى مصدره واذا بي امام رجل وسيم الطلعة ، تأخرت خطوة ليتقدم منهـــا في سكون مهيب حيث لم يداخلني ادنى شك في انه هو الحبيب الذي كـــانت تهذي به ، ولست ادري كيف دخـــل الحجرة دون ان تشعر به ، بل قل ان هذا التـــاريخ الحافل من الذكريات الكئيبـــة حلقت بي فوق مراتع مزروعة بالالم بعيدا عن واقع الحيـــاة الذي كنت فيه .

رفعت طرفها الكليل اليـــه ورمقته بنظرة حزينـــــة ثم اغتصبت ابتسامة باهتة من بين شفتيها المرتجفتين واستطاعت بعد جهد ان ترسل مع انفاسها بصوت خافت كلماتها المتقطعة:

ـ احمد !! وما الفائدة الان؟ لقد جئت متأخرا عن اوانك !! هكذا انتم الرجال عند النهاية فقط ..

ودنا منها ثم همس في اذنها بصوت متهدج كئيب وباستجداء يعطف اقسى القلوب :

ـ انني منذ البداية ! لقـــد عاهدتك على الا اكون لغيرك وانني ما زلت على العهد مقيم حتى يكون اللقاء في عالم خلا من ادران الحقد والانانيـــة وصفت النفوس فيه مجلوة من تمريض الاساءات ، هنـــاك سنعود من جديد .

وبعد دقائق شاهدت دموع الرجل تنساب من عينيه وهو يضع راسها الصغير على صدره ويطبع قبلة على جبينها الـــذي ظل مشرقا حتى بعد الممات ، ثم اعاده ثانية الى الوســـادة ووقف في خشوع وتبتل والدموع ما زالت على وجنتيـــــه وهو يردد :

وداعا يا قطعـــة من قلبي والى جنة الخلد ..

نص البرقيـــة التي بعثتهـا الرابطـة الى سيادة الرئيس عبد النـــاصر تأييدا لموقفـــه البطولي تجاه القضية الفلسطينيـــة

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر ..

رابطة الادباء الكويتيين تحيى موقفـــكم الرائع وصمودكم البطولى امام الصهيونية والاستعمار .. وتناشـــدكم باسم مليون ونصف مليون عربى شردو من ديارهم أن تخوضها حربا مقدسة لاستعادة ديارنـــا المقدسة والعرب الاحرار معكم ويقفـــون بجانبكم .

والله اكبر والنصر لشـــعبنا العـــربى العظيم ..

امين الرابطة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خلال عام ١٩٥٢ زار القاهرة المرحوم الشاعر خالد محمد الفرج ، والتقى هناك بالاستاذ عبدالله زكريا الانصاري ، وسلم اليه مجموعة من قصائده وابحاثه الادبية ،لنشرها على صفحات البعثة ، وكانت مجلة (البعثة) انذاك في اوجها الادبي فنشرت ما نشرت من قصائده ، ومن ابحاثه الادبية التاريخية النفيسة ، وبقيت بعض هذه الابحاث ، نشرت بعضها في مجلة (البيان) الغراء . ويسر المجلة ان تنشر هذا البحث خدمة للادب العربي .

الشيخ قاسم بن ثاني

مؤسس امارة قطر

هو الشيخ قاسم بن محمد ابن ثاني المعضادي التميمي ولد سنة ١٢٣٩ هـ وحكم سنة ١٣٨٤ وتوفي سنة ١٣٣١ هـ

في منتصف القرن الثاني عشر وحد محمد بن خليفة بلدان قطر تحت زعامته واضاف ابنه احمد البحرين الى امارتهم وجعلها عاصمة له لخيراتها ومنعتها البحرية وظلت قطر تابعة لهم يحكمها امير منهم ثم استولى عليها سعود الكبير وتتابعت فيها الاحداث والتقلبات ، وبعد حوادث الدرعية توطد حكم آل خليفة في قطر ثانية .

ويسكن قطر عدة قبائل اشهرها قبيلة النعيم وآل ابن علي والسودان وآل بوكواره وآل بو عينين والخليفات والمعاضيد ولم يكن حكم ال خليفة يرتكز على العصبية القبلية ولا على الاقليمية بل على الزعامة المادية بل انه على الاصح لم يقم الا على تنازع تلك القبائل على الحكم وتوازنها ولكن انتقال ال خليفة الى البحرين اضعف من زعامتهم وهيبتهم في نفوس القطريين كما حدثت من بعض ولاتهم امور نفرت منهم القلوب حتى ان قبيلة النعيم الموالية لهم عصتهم سنة ١٢٨٢ وقتلت الحاكم احمد بن محمد الخليفة فرأى محمد الخليفة واخوه علي ان يوليا على قطر احد اهاليها وهو محمد بن ثاني المعضادي وكان ذا ثروة كبيرة ونفوذ عظيم في قطر ومن المخلصين للحكومة المسالمين لها بيد انه كان شيخا مسنا كفيف البصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاعتمد بالامارة على ابنه قاسم الذي كان ميالا الى الانفصال عن البحرين والاستقلال بامارة قطر ، ولكن عصبيته القبلية لا تكفي ما لم يدعمها بالعصبية الاقليمية لتعدد القبائل وطموح رؤسائها الى الحكم فاستطاع بحسن تدبيره ان يجمع القطريين حول راينه وان ينفصل عن البحرين ولكنه لاقى مصاعب واهوالا شأن البانين المؤسسين وتغلب عليها كلها بحكمة وشجاعة .

حينما قتل رحمه بن جابر سنة ١٢٤٢ ظن الخليفيون انهم قد قضوا على اخر عدو لدود لهم ولكن خصمهم الالد الذي كان يخطو في السنة ٣ من عمره هو قاسم بن ثاني الذي ولد وشب في بحبوحة من العز والثروة ونشأ نشأة الفتيان في ذلك الزمان وهي الفروسية والقنص والتفاخر بمكارم الاخلام وكانت مبادىء الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد رسخت في البلاد التي استولى عليها آل سعود وعلى الاخص قطر ، فشب الشيخ قاسم متحليا بتلك الفضائل وشاهد الحوادث والانقلابات عن كثب واحس بما يحس به كل قطري لا يدين بالطاعة والاخلاص لآل خليفة ويعدهم اجانب مغتصبين ، الى ان سنحت له الفرصة بنيابته عن والده في الامارة التي لم تسند اليه الا لاباء القطريين ان يتولى امورهم امير ليس منهم ولما علم الشيخ محمد الخليفة بنوايا قاسم كتب الى ابيه يستقدمه ليأخذ عليه العهود والمواثيق ويمين الطاعة وقد ابى قاسم لولا ان اباه الح عليه ، ولما كاد يصل الى البحرين حتى قبض عليه والقي في غياهب السجن مما اساء الى اهل قطر وجمع كلمتهم حوله فتجهزوا في السفن لغزو البحرين وفك الشيخ قاسم من سجنه فالتقوا بالاسطول البحريني وهو بقيادة الشيخ علي بن خليفة في (دامسه) وهي مرسى في جزيرة المحرق من الشرق فتغلبت سفن اهل البحرين لاستعدادها الحربي وانهزم القطريون وكاد الامر ينتهي لولا ان اهل البحرين تعقبوا المنهزمين لتاديبهم وانزلوا جنودهم في الوكره هناك وافت الامدادات اهل قطر وتطور الموقف من حرب بحرية الى حرب برية فكروا على المهاجمين فهزموهم شر هزيمة واسروا منهم ابراهيم بن الشيخ الخليفة وخليفة بن الشيخ محمد الخليفة اي (ابني الحاكمين) وعددا من ال خليفة ورؤساء عشائر البحرين فابقوهم رهائن بقاسم واشترطوا لاطلاق سراحهم فكه من السجن والاعتراف باستقلال قطر تحت امارته فاضطر الشيخان محمد وعلي الى اجابة طلبهم وتم الصلح وانتهى الحكم الخليفي الذي دام اكثر من مائة عام ، وهذا اول استقلال قاسم بالحكم وذلك سنة ١٢٨٤ .

وقد هيأ الجو لنمو هذه الحكومة الفتية وقوع الشقاق بين الاخوين محمد وعلي الخليفي واقتتالهما ثم تنازع اولاد الامام فيصل على الملك وحروب سعود بن فيصل مع اخيه عبدالله .

ولما استولى الاتراك على الاحساء مد لهم الشيخ قاسم يد المسالمة وطلب ان يشمل بحماية السلطان خشية من الانكليز الذين تدخلوا تدخلا فعليا في البحرين متخذين تجهيزات دامسة وحرب الوكره حجة على نقض الخليفة لمعاهدة الحماية التي من بنودها الكف عن التجهيزات البحرية . وقد رفع الشيخ قاسم العلم العثماني وبنى قلعة للجنود العثمانيين المقيمين عنده وصارت قطر من الممالك الشاهانية اسميا .

صفا الجو للشيخ قاسم وتوطدت قدمه لولا ان البحرين ما برحت تدس له الدسائس حتى البت عليه قبائل قطر برئاسة ناصر ابن جبر والبوكواره بزعامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الفيحان (١) وهو لا يقل عن الشيخ قاسم ثروة ونزعة الى الحكم والرئاسة فاوقع بهم في قصر ربيقه وفي بلد الغارية بلد ابن عبد الوهاب وانتقل اهلها الى البحرين سنة ١٢٩٧ ومنها تحول الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى القطيف فاسس بلدة دارين سنة ١٣٠٣

وفي سنة ١٣٠٥ حصل خلاف بين الشيخ قاسم وبين الشيخ زايد بن خليفه بن طحنون الهناوي شيخ ال بو فلاح امير ابو ظبي فقد هاجم الهناويون بلد الدوحة غلسا وقتلوا علي بن قاسم وكان ابوه في الظعاين وجاء بعد الوقعة وقد فر الهناويون بما اخذوه واكتفوا بمن قتلوه فشن عليهم الشيخ قاسم الغارات وجاس خلال ديارهم وحاصرهم في صياصيهم وحصونهم الى ان طلبوا الصلح بعد حروب عديدة .

ولم يكد يفرغ من جيرانه الجنوبيين حتى فوجىء بامر عزله من الحكومة التركية .

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فقد جهزت عليه حملة ما عتم ان هزمها فاعادت تجهيز اخرى كبيرة تولى قيادتها متصرف الاحساء محمد حافظ باشا بنفسه ومعه طابور من الجنود النظامية على باخرتين من جهة البحر وحشدوا جموعا غفيرة من عربان العراق والكويت والاحساء بقيادة الشيخ مبارك الصباح ، فنزل المتصرف بجنوده النظامية الى الواحة وقبض على الشيخ احمد بن ثاني شقيقه وبعض الرؤساء الموالين لآل ثاني وكان الشيخ قاسم في قصر صبحا على مسافة ساعتين من البلد يخابر المتصرف ويعرض الطاعة فلم يقبل منه غير الاستسلام بدون قيد ولا شرط وتقدمت الجنود التركية لاحتلال قصر صبحا غير منتظرة الجنود البرية **فجرت بينهما وقعة عظيمة انهزم فيها الترك هزيمة شنيعة وقتل كثير منهم وفر حافظ باشا الى الباخرة وكانت الجنود البرية قد وصلت الى سلوه فلما بلغهم**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



خبر هزيمة المتصرف عادوا ادراجهم وذلك في رمضان سنة ١٣١٠ .

ومع ذلك لم يعلن انفصاله عن السلطان برغم اغراء قناصل الانكليز له وعرضهم الحماية عليه ونرى ان ذلك راجع الى تدينه وكرهه للانكليز وقد جاء الفرمان الهمايوني بتثبيته في الامارة وعزل حافظ باشا واستتب له الامر بعد ذلك وثبتت قدمه في الحكم .

وكان رحمه الله كثير الميل الى مذهب السلف الصالح ومن اكبر محبي الملك عبد العزيز ال سعود ومؤيديه في اول نشأته كما ان له مقاما كبيرا لدى الملك فقد ذهب لانجاده سنة ١٣٢٤ لاخماد ثورة داخلية حدثت في قطر مجازفا بملكه فقد كان خصمه عبد العزيز المتعب الرشيد يترقب فرصة كهذه ليهاجم الرياض ، كما انه لم يشفع احدا في ال بسام والهزازنه سواه بعد ان رد كافة المتشفعين .

ولم تكن للشيخ قاسم موارد سوى التجارة في اللؤلؤ لرواج تجارته ذلك الزمن ولا مورد لاهالي قطر سواه ، سواء بالمتاجرة فيه او استخراجه من البحر .

وفي سنة ١٣٢٤ حصلت ازمة اقتصادية انزلت باهل اللؤلؤ خسائر فادحة وكان الشيخ اكثرهم تأثرا بها لكثرة ما لديه من اللؤلؤ مما اثر على ماليته اسوا التأثير واضطره الى ان يفرض الرسوم الجمركية ويأخذ القلايط (٢) على اهل الغوص وقد فاضبته على دمطمع القلاطه عشيرة ال بوعينين (٣) فنزحوا من قطر واسسوا بلدة الجبيل سنة ١٣٢٧ ولا يزالون فيها.

وكان رحمه الله متحليا بكافة صفات الرجولة ومكارم الاخلاق ، مزواجا كثير الاولاد والاحفاد .

وله شعر نبطي متين يدل على تمكنه من نواصي الكلام الجيد نورد منها هنا مقتطفات نستدل منها على سيرته الحميدة لان شعره خلو من المبالغة والخيال فمن ذلك قوله في وصف قدومه على الشيخ محمد بن خليفة وسجنه له في البحرين كما تقدم تفصيله :

قال اقبلوا حنا هل العفو دايم
بامان من الرحمان ما به دغايل (٤)
وجتنا فرا مين معاهم مخوتمه
بمواثيق وآيات من الله نزايل (٥)
فركبنا على ماشورة زجها الهوا
وجينا عن الشيخ المسمى نسايل (٦)
وقلطنا وسلمنا على كاسب الثنا
وجلسنا ودلر بنا الفكر كيف قايل (٧)
فقال اقلطوا للمجلس اللي خلافكم
وصكت علينا محكمات الخبايل
فيا رجل يا اللي ما بعد داست الخنا
ولا قد تمشت في دروب الخلايل
ولا وقفت في ماقف ينقدونه
ولا وثرت درب عن الحق مايل (٨)
فلا تجزعي يا رجل فالله عالم
بالسر والنيات ثرها زمايل (٩)
اما قد سمعتي بسجن يوسف وما جرى
على الانبيا وايوب شاف الهوايل
وكم ابتلى الرحمان عبد يوده
وكم حبس مظلوم بليا دلايل
فويل لقاضي الارض من قاضي السما
الى عاد ميزانه على الناس مايل

وقال يعبر عن رايه في الحكم :

فلا خير في من يتبع الهون والردى
ورزقه سوال بين معطي وطالب
فيلومونني العذال في مطلب العلا
يقولون يسلك بك امور صعايب
ترى فيه تلف المال والجند والسلع
وجرايم سلاطين تدور السبايب
فلولا ركوب الصعب في كل شده
وصبر على شداتها والكرايب
ما لذ في الدنيا لذيذ ومطعم
ولا لذ لي فيها هني المشارب
فكم لذة لذت لنا غب كوننا
نهار على الباغين عجه سكايب (١٠)
ملكنا بها ديرانهم مع ديارهم
بيوم غدا قصر الربيجه خرايب (١١)
ولينا وعفينا وجدنا بعتقهم
وجدنا لهم باموالهم والربايب
وكم سبة سبت عليهم مذله
تسبى السبايا والنشامى جلايب (١٢)
فالى قلت يصفي كدرهم زاد غشهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واسبابهم تـــازى عليهم عقايب (١٣)
من الله ذي العرش الذي يعلم الخفـــا
خبير بنـــا عـــلام ما كان غـــايب

وقال في غزواته على اهل (ابو ظبي) :

فيـــا مـــا حمينـــا كل من هو لجا بنا
اذا صكته جيلا نهـــا والجدايل (١٤)
وياما عطينـــا المـــال في ساعة الرخا
واصفر عطايانا السبايـــا الاصايـــل
واكبر عطايـــانا الى ما الحقوا بنـــا
حناقى على ثجـــة دمـــاهم ثلايل
فزعنـــا لهم بكبارنـــا مـــع صغارنا
ونجدع شبا من دونهم كان صايل (١٥)
فيـــا مـــا تمنوا في الرخا ردة الجزا
بمعاهيـــد واديـــان تفض الحمايل (١٦)
فساعة بـــدا المـــا جوب فيهم فدبروا
واقفوا جميع كاسبين الفشايـــل (١٧)
فلا همنـــا من بـــار فينـــا وغرنـــا
بحكي الضحى في في بـــرد الظلايـــل
وسرنـــا وسيرنا الالـــه وعاننـــا
ولا ردنـــا كثر العضل والعذايـــل
بنمرا تحمـــل الكار والنـــار فوقهـــا
لطمنا بهـــا راس الحفيف المزايـــل
وجرد غذيناهـــا لهذي ومثلهـــا
عليهن صنع المارتـــين السـلايـــل
وطينـــا بها الارض التي هاب وطيهـــا
سلاطـــين في مـــاضي العصور والاوايـــل
سبينـــا محارمهـــا وقتلنـــا رجالها
وجعلنـــا مساكنهـــا سعير شعايل
خمســـة عشر يوم وانـــا مستطيلهـــا
ودمي اهلهـــا بـــين ناقع وسايل
لين اجتمع من كـــل قوم شرايـــد
الى مزبن فيـــه الحصون العدايل (١٨)
فساعة وصلنـــا نحسب الراي عندنـــا
ففدا راينـــا عند العيال الجهايل (١٩)
زهم وانتـــدب زهـــامهم ثم سلبوا
وغشى الجو رعـــاد بروقه شمايل (٢٠)
وبين السما والارض ثـــارت مجاجـــه
في محشر مـــاذا لهـــذا يسايـــل
وعجت وثجت واحرقت بعدمـــا اسعرت
واضفى عليهـــا الجو والموت حايـــل

لعينـــاك يا اللي شب في الدين والتقى
وكسب المكارم واجتناب الرذايـــل (٢١)

وقال يصف حربه مع الترك :

ثلاثين ليـــل مـــا اغمض الجفن بالكرى
اعالج بهـــا للنايـــات افكـــار
اعالج بهـــا نفس وقلب توافقن
بطرق المعـــالي عـــادهن صغار (٢٢)
قلب يوردنـــي ونفس تسوقنـــي
لموارد عـــز حولهن اخطـــار
تبـــين لنـــا من مغرب الشمس عارض
ومن الشـــام غطت ظلمتـــه الاقطار
فارجف بدولات النصـــارى مع العجم
وغـــدا منـــه بقلوب الملوك ذعـــار
فساعـــة غشى هجر باهلهـــا تزلزلت
وكل حفر له وسط سر بـــه غـــار
وفرت جميـــع البدو منـــه مهابـــه
ومحـــابيسهم بالدارتـــين اسطـــار
وحدر علينـــا طاغي يقشـــع الصفـــا
من البغي باحكامه علينـــا جـــار
يسايلنـــا بالخسر والخسر عندنـــا
مراكيض صدق فوق قب امهـــار
عليهن فتيـــان وكـــل مجرب
سموا للمعـــالي النايفات صغـــار
يزدن بهـــا حوض مـــن الموت مكدر
سوابح مـــا يلزم لهن عـــذار (٢٣)
من قصر صبحـــا قبـــل مطـــلاع شمسها
الين غـــابت في شفق الاسحـــار
وحنـــا نصـــا غيهم على غير شفهم
يمين ومن بعـــد اليمـــين يســـار
وخرع الهنـــادى في عوالـــي متونهم
وضمن بضرب المـــارتين قرار (٢٤)
وضرب بحـــد المشرفيـــات راكـــد
غدت منـــه روس الباغيين اشطـــار
لكن طوابـــير البرنجي طليعـــه
غنم تثـــاغى في يـــدي جـــزار
فمن يوم عـــاين طـــاغي الروم ضربنا
تزعزع قلبـــه من ضميره طـــار
فخلى لنـــا الطاغي مقـــاود عســـاكره
وارخص لنـــا بالمـــارتين ونـــار (٢٥)

خمس ميـــة صرعى وحن في طلابـــه
وعب البحر عنـــا بغـــير وزار (٢٦)
فشـــاف السهى في القايلـــه بعد ما سها
وركب الجدا غصب بغير خيـــــار

وفكك لنـــا كل المحابيس والتجـــا
لنـــا في الدخالـــه صاغر محتـــار
فانجابت الظلمـــا عن النـــاس واسفرت
ورعى الحمى والسبل غصب ســـار

وكل اشعاره من هذا النوع وله ديوان صغير مطبوع في بومباي — الهند سنة ١٣٢٩ في حياته . توفي شهر جمادي الثانية سنة ١٣٣١ رحمه الله رحمة واسعة .

حواشي ترجمة الشيخ قاسم بن ثاني :

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ناصر الفيحان من قبيلة سبيع من بني عمر كـــان من سكان البحرين واستقدمه محمد بن ثاني بصفته كاتبا ومستشارا في تصنيف اللؤلؤ ووزنه لاشتهاره بهذه الخبرة وقد حصل خلاف بينه وبين قاسم بن ثاني فانفصل وكان قد اصهر الى ال بو كواره واقام عندهم في بلدهم الغاريه وجمع ثروة كبيرة من تجارة اللؤلؤ وصار من زعماء ال بو كواره ، ثم انتقل الى البحرين ومنها الى القطيف حيث اسس بلدة دارين سنة ١٣٠٣ . توفي سنة ١٣٢٤ في بومباي الهند عن ٦٤ سنة .

(٢) القلايط جمع قلاطه او مقلط وهو محل ما يتدلى منه الغيص في سفينة الغوص ويمسك بحبله ويعبر عنه اصطلاحا بحصة غيص (لان نظام الغوص اشتراكي) وهو رسم تتقاضاه حكومات الساحل على سفن الغوص .

(٣) ال بو عينين او قبائل عنين بن سلامان من كهـــلان القحطانية كانوا يسكنون موضع بلدة الجبيل الان ولا يزال يسمى باسمهم الى الان (عينين) ولم يشتهر باسم الجبيل الا اخيرا ولسبب ما انتقلوا الى قطر وبعد خلافهم مع الشيخ قاسم عادوا الى وطنهم الاول .

(٤) الدغايل جمع دغيلة اي الغدر والمكيدة .

(٥) الفرامين في الاصل الاوامر السلطانية ويقصد بها هنا مواثيق المهود ومخوتمه : ممهوره بالختم للتوثيق .

(٧) الماشور هي السفينة الجديدة الصنع .

(٧) قلط : تقدم ، دخل .

(٨) وثرت : آثرت . وخاطب رجله لتقييدها بالقيود .

(٩) ثرها كلمة تاكيد وجاءة مثل واذا هي ، الزمايل دواب الركوب ، وزمله : اركبه .

(١٠) كوننا اي حربنا والكون الحرب ، المج الغبار .

(١١) الديران ما في الديار من سكن وغيره كالديار .

(١٢) السبة : السبب ، وسبت اي سببت ، تسبى اي تنهب من المسبي ، والسبايد الخيل ، والنشامى الرجال الشجعان ذووا الفروسية والنبل ، الجلايب ما يجلب الى السوق للبيع .

(١٣) تازى : تعود ، تعقب . العقايب جمع عقوبه .

(١٤) الجيلان : جوانب البئر والجبل . الجدايل : الحبال المجدولة المتينة .

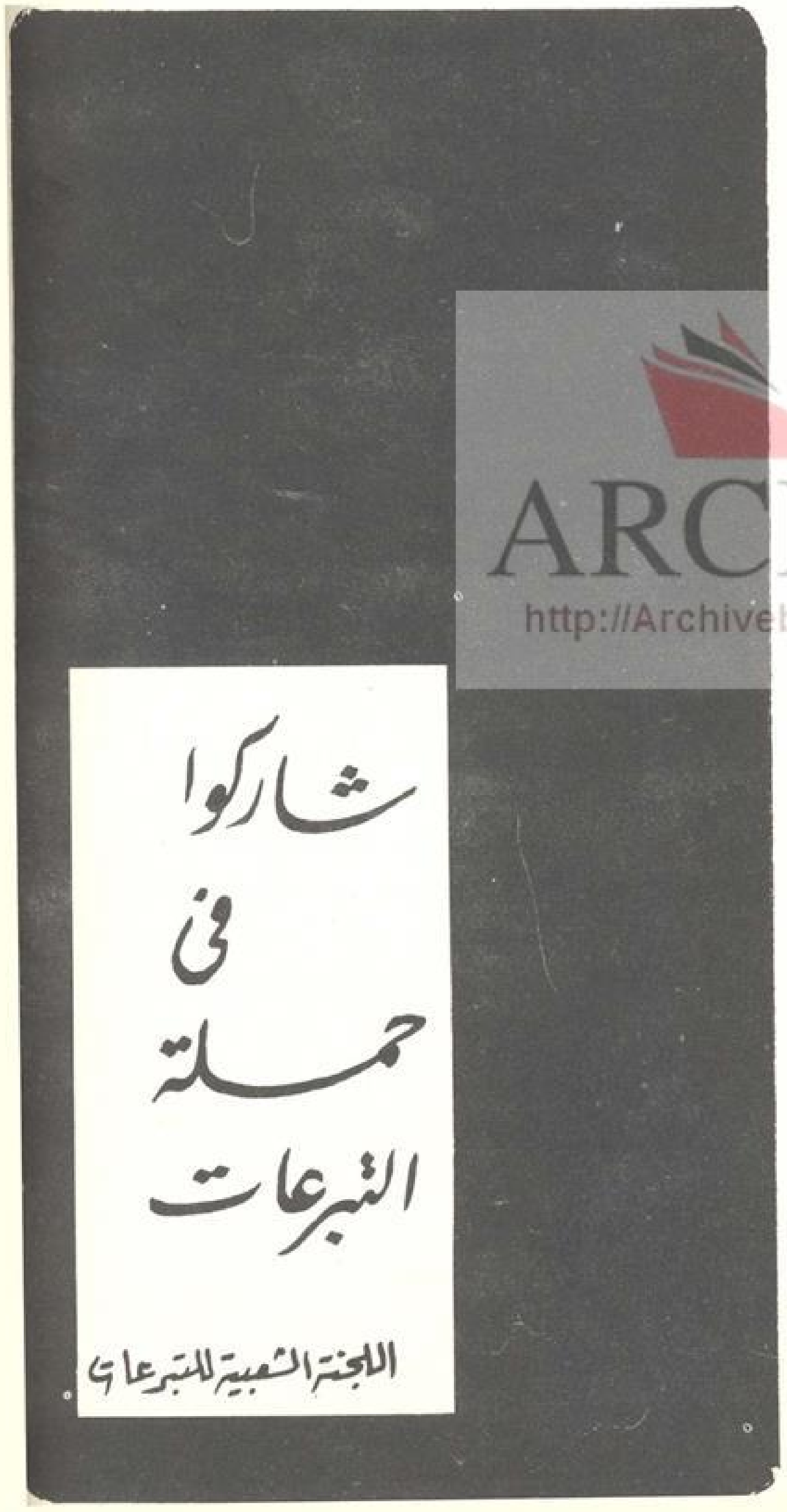
(١٥) فزعنا لهم : انجدناهم بسرعة .

(١٦) الاديان : الايمان ، الاقسام . الحمايل العائلات ، كبار البيوتات .

(١٧) لين : الى ان . المزبن : الملجأ ، ما يحتمى به . العدايل : الكاملة ، التامة . المستقيمة .

(١٩) الجهايل : جمع جاهل ، من لا يحسب لعواقب الامور العديم المبالاة .

(٢٠) زهمهم : اثار نخوتهم ، اهاب بهم ، ناداهم . انتدب : قريب من معنى زهم . سبلوا هجموا بلا مبالاة .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com